7me Année No. 329

Lundi - 23 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

صـفحة
١٩٩٩ وزارة الشؤون الاجتماعية : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٠٠١ كيف يعظون ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٠٠٢ جناية أحمد أمين على الأدب العربى : الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٠٠٧ موقف العلم من الكمال الانسانى : الأستاذ توفيق الطويل ...
٢٠١٠ الحد الفاصل بين أدب الروح وأدب المعدة ... ... : الأستاذ محمود على قراعة ...
٢٠١٣ ٥٠ قرنا فى المتحف الحربى : « لمندوب الرسالة » ...
٢٠١٦ حواء ... ... [قصيدة] : الأستاذ على أحمد باكثير ...
٢٠١٧ إلى محمق النائية « : الأستاذ صالح الحامد العلوى
إليهايوم تنساني! « : الأديب محمود السيد شعبان
٢٠١٨ عن فن الصوم ... ... : الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
٢٠٢١ لحظات الالهام فى تاريخ العلم : بقلم صربون فلورنس لانسنغ
٢٠٢٥ البترول يكسب الحرب ... : عن « وتسورث داى » ...
الصحافة السرية فى ألمانيا : عن « P. T. O. » ... ...
٢٠٢٦ هل تستطيع اليابان أن تحكم الصين : عن « أميركان ميركيورى »
٢٠٢٧ الجاوء الورق النقدى سنة ٦٩٣ : لأستاذ جليل ... ...
وفاة الأستاذ فنسنك ... : « ب » ... ...
٢٠٢٨ فى منزل الدكتور طه حسين : الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف
حول ابن بطوطة وابن تيمية : الدكتور محمد محسن البرازى
٢٠٢٩ إلى الدكتور زكى مبارك : الأستاذ محمد على عكارى ...
٢٠٣٠ لطيفة ... ... : « ب . ف » ... ...
لعله هو ... ... : الأديب أحمد جمعة الشرباصى
٢٠٣١ المصطلحات العسكرية ترجمتها إلى اللغة العربية — تثقيف الشعب عن طريق الاذاعة — حول قصيدة ... ...
٢٠٣٢ رجاء إلى الكتاب ... ... : الأديب أحمد حلمى العباسى
جريدة الشورى ... ... : . . . .
٢٠٣٣ تحت راية الاسلام [كتاب] : بقلم الأستاذ عز الدين التنوخى

وزارة الشؤون الاجتماعية

ما أظن أحداً من آحاد المصلحين تَلِجت نفسه لإنشاء هذه الوزارة مثلما ثلجت له نفس الرسالة . ذلك لأن سبيلها هى التى تجاهد فيها الرسالة ، وخطتها هى التى تسير عليها الرسالة ، وغايتها هى التى تقصد إليها الرسالة؛ فكأنها قامت لتحقيق آمالها بالتنفيذ، وتطبيق مبادئها بالعمل . ومن ذا الذى لا يثلج صدره إذا رأى قوله قد صار فعلاً ، وخياله قد أصبح حقيقة ؟

لقد عالجت الرسالة مشكلة الفقر على وجوهها الشتَّى فى بضع عشرة مقالة خرجت منها على أن الحرمان كان فى الأكثر الأغلب علة ما يكابد المجتمع من جرائم القتل والسرقة ، ورذائل البغاء والتشرد ؛ فلو أن أولى الأمر عالجوه بما عالجه به الله من تنظيم الإحسان وجباية الزكاة لما وجدوا فى البيوت عائلاً ولا فى الطرقات سائلاً ولا فى السجون قاتلاً ولا فى المواخير ساقطة . ولكننا تركنا الموضوع قانطين من رحمة القلوب ، لأننا وجدنا غاية الأمر فيه لا تعدو البكاء والاستبكاء ما دام الحكم فى يد الأقوياء، والتشريع لألسنة الأغنياء ، والغَلب والسبق للناب المضوض والجناح المحلِّق . فلما وفق الله الحكومة القائمة لأن تجعل لآثام الجهل وآلام الفقر وأرزاء المرض وزارة تعالج كل عَرَض لها، وتساعف كل منكوب بها، وتقطع كل علة فيها، قَرُبت منازع

الإصلاح وسفرت وجوه المنى . ثم كان من مصاديق الأمل ودواعي الثقة أن تولى هذه الوزارة رجل من رجال الجد والعزيمة لم يصبه الله بداء الكلام، ولم يشغله بحرفة السياسة، فاختار لمشورته ومعونته وأمره طائفة من قادة الرأي ودعاة الإصلاح أمثال الأساتذة عبد المنعم رياض وتوفيق الحكيم وابنة الشاطئ ، ثم مضى بهم في طريقته المرسومة إلى غايته المعلومة يقظ القلب نافذ الهمة لا يُعمّى وجهه ضلال ، ولا يقطع سبيله عقبة

***

أجل، إن اختيار الشاذلي باشا لوزارة الشئون الاجتماعية سبب من أسباب النجاح لها والثقة بها ما في ذلك شك ، فإن عهد الناس بهذا الرجل قويٌّ الارتجال عسكريٌّ الإرادة. وهم لا يفتأون يذكرون أنه أشعرَ المصريين عزة الوطن، وعوّد الأجانب احترام الدولة، بأمر يسير واحد حرص عليه وألح فيه ، هو أن يعزف أصحاب المسارح والسينما السلام الملكي في ختام كل حفلة . ولكننا لاحظنا أن وزارة هذا الرجل السكوت الفَعول قد أخذت في هذه الأيام تسرف في نسج الكلام وقطع الوعود ووضع المشروعات وتقديم المقترحات وتأليف اللجان ، فذكّرَتنا ذلك وزارةَ المعارف في عهد من العهود إذ كانت تؤلف كل ساعة لجنة، وتضع كل يوم مشروعاً ، وتسن كل أسبوع نظاماً ؛ ثم ينتهي الأمر بأكثر أولئك إلى ما تنتهي إليه الفقاقيع النازيّة على وجه الماء الآسن !

لقد أكرهتنا حكوماتنا المتعاقبة على أن نفهم أن تأجيل الموضوع للبحث معناه إهماله ، وتحويل المشروع إلى لجنة معناه إغفاله . فهل يجوز أن نخشى مثل ذلك من هذه الوزارة الوليدة وهي لم تُبتلَ بعدُ بجمود الموظفين الآخرين ورُوتين الوزارات الأخريات ؟

إن الدم الجديد في هذه الوزارة ، والروح المتوثب في هذا الوزير، يُذهبان الخيفة من جهة التفريط والنكول ، ولكنهما يوجبان الحيطة من جهة الإفراط والتهور . وكفى بهذه الظنة باعثاً على كتابة هذه الكلمة

***

إن وزارة الشؤون الاجتماعية تجديد رسمي لدعوة النبوة ؛ وهي بحكم وجودها وطبيعة عملها وزارة الجمهور ؛ فلا مندوحة لها إذن عن نهج سبيل الدين في محاربة الفساد بالأناة والحكمة . فإن مصادمة الموجود بالطبيعة مدعاة إلى الفشل ، ومقاومة المألوف بالعادة مجلبة للنفور ، ووسيلة النجاح في هداية العامة الحيلة والتدرج . والله عزت حكمته لم يشأ أن يقيد الزواج ويحرم الخمر ويحظر الرق دفعة واحدة ؛ وإنما استدرج الغرائز والأهواء إلى حدود المعروف شيئاً فشيئاً حتى اطمأنت إليه ورغبت فيه

ما للوزارة على حداثتها تبدأ منهاج الإصلاح من آخره، فتريد أن تعرض لما يتصل بالحرية أو بالعقيدة كأن تقيد الزواج وتحدد السهر وتحرم على بعض الناس بعض اللهو ؟ إن ذلك وإن كان له أثره في صلاح المجتمع لا يحسن أن يكون أول ما تعمل . وربما كانت هذه الأمور التي تنكرها ظواهر لبعض الأدواء الاجتماعية تزول بزوالها . أما الرأي الذي تأمن عليه من المعارضة والفوضى والتشعث فهو أن تحرر دستورها الإصلاحي تحت ثلاثة عناوين هي الفقر والجهل والمرض، فإنها مُجّاع العلل التي يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر ؟ ثم تحاول بجهادها المتصل في شتى الميادين أن تمحو الأمية وتقتل الجوع وتجتث أصول العلة ، حتى إذا وجدت أمامها بعد ذلك شعباً صحيح الجسم نير الفهم مكفي الحاجة استطاعت أن تأخذه بوسائل الكمال كتوحيد الأزياء وترقية الغناء وتهذيب التقاليد وتنظيم الأسرة وتمدين الجماعة . على أن ذلك كله يكتسبه الشعب من ذات نفسه متى أدرك قسطه الضروري من ثقافة العقل والروح والبدن. وعسى ألا يقع في ظنك من هذا الإجمال أني أخلط بين اختصاص هذه الوزارة واختصاص وزارات المعارف والأوقاف والصحة؛ فإن وزارة الشؤون الاجتماعية بحكم اختصاصها الشامل لحياة الجماعة في المدينة والقرية لا بد أن تتصل بالثقافة والسلامة والإحسان من جهاتها العامة؛ ولكنها لا تعلّم كالأستاذ، ولا تعالج كالطبيب، ولا تحسن كالواقف. وسترى في فصولنا التالية كيف يتميز عملها من عمل غيرها ، حين نفصل الكلام في هذه العناوين الثلاثة : الجهل والفقر والمرض

احمد حسن الزيات

كيف يعظون

للأستاذ عباس محمود العقاد

أيام الحوادث الفادحة هي أيام العظات البليغة لمن يحسن استخراجها من حوادثها ثم يحسن التعليل بين مقدماتها وعواقبها والحرب أبلغ العظات

لأنها تمتحن النفوس فتثير فيها الشكوك وتقلقل فيها دعائم الإيمان فهي في حاجة إلى اليقين والاستقرار

ولأنها ترين على القلوب بالغموم وتلعج فيها الأحزان فهي في حاجة إلى الترفيه والتأسية والعزاء

ولأنها تكتظ بالشواهد والمُثُل وأسباب الخبرة ومجامع العبرة فهي في حاجة إلى من يحسن التعبير والاعتبار

***

رأيت مثلين من أمثلة العظات المصرية هما اللذان بعثاني إلى كتابة هذا المقال : أحدهما مسيحي والآخر إسرائيلي ، وكلاهما من مبتكرات الوعظ « العقلي التاريخي » الحديث

جاء المثل الأول في مقال بصحيفة « المانشستر جارديان » الأسبوعية لواعظ يصف تجاربه في الحرب الماضية قال :

كثيراً ما وعظت في أثناء فترات الغداء بالمصانع فكانوا يلقونني برفق وإكرام

ولكني في بعض الأيام لقيت رجلاً غاضباً محنقاً وإن كان مؤدباً في مسلكه يقول لي : ما هذه الجرأة منك على الوعظ باسم إله المحبة والرحمة وهذه الحرب الخبيثة تطحن الناس ؟

فقلت له : إنك يا أخانا لقاس على الأقدار ... فهبك في مكان القدر فماذا عساك كنت صانعاً بالدنيا ؟ ... لا أحسبك كنت تخليها من الخطيئة لأنك بهذا تهدم تكوين النفس الإنسانية باعتبارها نفساً مريدة مكلفة ذات حرية ومشيئة ... فإن لم تصنع هذا فماذا أنت صانع ؟

قال : على أية حال كنت لا أدع إنساناً يألم في حياته لجريرة غير جريرته وذنب غير ذنبه

فأجبته قائلاً : آه ! يا لها من حياة مخيفة تلك التي تريدها . فماذا تنوي أن تصنع بالأمهات مثلاً ؟ أتريد من الأم إذا ذهبوا بابنها إلى الموت أو ذهبوا بابنتها إلى العار أن تمضي في طريقها ضاحكة راضية وهي تقول : لا يعنيني ! فالذنب ذنب غيري ؟

« إن الدنيا التي تريدها لتكونن دنيا خلواً من الآباء والأمهات والأصدقاء والقديسين والأبطال والشهداء »

***

هذا هو المثل المسيحي وله شروحه ومعقباته عند من تناولوا مسألة الاختيار ومسألة الشر الدنيوي في الفلسفة الحديثة

ولكنه كلام يقال للرجل العصري فإذا هو أقرب إلى فهمه والإصغاء إليه من كلام لا يقوم على فكر ولا على حجة وإنما يقوم على إلزام كإلزام الآلات وتكرير كتكرير الببغاوات

***

أما المثل الإسرائيلي فقد قرأته في رسالة يقول كاتبها وقد عرض حوادث العالم أمامه فإذا هو يقول: إن الله يبتلي بالقصاص العاجل كل بلد يظلم أبناء إسرائيل، ويكتب النصر والقوة لكل بلد يعاملهم معاملة الرفق والمساواة . فلن ترى أمة شاعت فيها المذابح والمظالم للإسرائيليين إلا أصيبت بثورة أو سيقت إلى حرب أو منيت بهزيمة

هذه روسيا كانت أسبق الأمم إلى ظلم اليهود فابتلاها الله بالثورة البلشفية

وهذه أسبانيا تعاقبت فيها المظالم عليهم فابتلاها الله بالحرب الأهلية

وهذه بولونيا نفسها لم تخل في بعض عهودها من ظلمهم ومطاردتهم ، فشاءت الأقدار أن تكفر عن سيئاتها

وهذه ألمانيا النازية تنساق إلى حرب زبون تهدمها من أركانها

« يهواه رب جبار لا ينسى الثأر ولا يصبر على الأشرار »

وهذا الكلام أيضاً قريب إلى عقل الرجل العصري الذي يفكر تفكير المشاهدة وينظر بعين التاريخ ، وإن كان قائله ليخلف الأمر فيضع المقدمة موضع النتيجة ويضع النتيجة موضع المقدمة . إذ الحقيقة أن الاضطراب هو السبب المؤدي إلى ظلم « الأقليات » ومنها اليهود ، وليس ظلم الأقليات عامة أو اليهود خاصة هو السبب المؤدي إلى وقوع الاضطراب . فالروسيا وأسبانيا وبولونيا وألمانيا كانت فيها المساوئ الاجتماعية والقلاقل السياسية سابقة للخصومات والفتن التي تقع بين عناصر الكثرة وعناصر القلة فيها ، وقد حدث أن بلاداً وقعت فيها الهزائم والفتن وليس فيها يهود مضطهدون كما حدث في بلاد الترك

والصين . فالعلة الأولى هى الاضطراب والعلة الثانية هى الاضطهاد، وهذا هو موضع الخطأ فى تفسير إرادة الله كما رآها واعظ إسرائيل

إلا أن الكلام كما أسلفنا كلام يقال فى العظات المصرية لإقناع السامعين المصريين ، وهو خير من كل كلام لا ينظر قائله إلى الواقع ولا ينظر إلى التاريخ

***

قرأت هذين المثلين فى شهر رمضان

وشهر رمضان عندنا هو شهر العظات وشهر السهرات فى سماع القرآن والدروس

وقد سمعت بعضها وقرأت بعضها وذكرت بعضها مما كان يلقى فى السنوات الماضية

فيطيب لى أن أقول إنها تتقدم من المحاكاة إلى الابتكار ، وأنها تخرج من حفائر الموت إلى ميادين الحياة ، وأنها تخاطب الناس خطاب الإقناع بعد أن خاطبتهم طويلاً خطاب الإلزام والإرهاب ...

فإذا اطردت على هذه الوتيرة فسبيلها غداً (١) أن تشمل الآفاق الواسعة وتتعمق فى أغوار النفس الإنسانية و (٢) أن تربط بين موضوعاتها وكبريات الحوادث الحاضرة و (٣) أن تعمم الإقناع فى خطاب العقل البشرى فلا تقصره على من يؤمن بالقرآن والسنة والمسلمين ، بل تجعله مقنعاً خليقاً بالبحث والنظر فى رأى كل صاحب عقل وتفكير

وهل أضيف أمنية أخرى ؟

يقول أناس إن بائع الحرير لا يلزم أن يلبس من حريره ، وإن واصف الدواء لا يلزم أن يتناول من دوائه ، وإن الأب الذى يقدم لوليده الطعام لا يلزم أن يأكل من طعام الأطفال ، ولكن الواعظ لا يكون واعظاً إلا إذا عمل بما يأمر به الناس

ويقول آخرون : بل حكم الواعظ فى ذلك حكم بائع الحرير وواصف الدواء ومقدم الطعام لبنيه ، فليس بالواجب عليه أن يعمل بكل ما يقول ، وإنما الواجب عليه أن يهدى كلاً من سامعيه إلى ما يحسن به عمله وتصلح له هدايته

وأياً كان مقطع الرأى فى اختلاف الواجبات أو اتفاقها بين الناس فهناك واجب مشترك متفق عليه بين جميع الواعظين والعاملين : وهو الإيمان بالواجب والإيمان بالأمانة والإخلاص فى أدائه .

عباس محمود العقاد

جنـــــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

رأينا فى المقال السالف كيف أخطأ الأستاذ أحمد أمين حين زعم أن الأدب العربى على اختلاف عصوره ليس فيه إلا شاعر واحد يهتم بتحليل المعانى

فهل نجّاه الله من الخطأ حين زعم أن الأدب العربى لم يعرف غير كاتب واحد يهتم باستقصاء الأغراض ؟

إن الله لطف بابن خلدون فشغل به قلب الدكتور طه حسين لتعلو منزلته فى نظر الأستاذ أحمد أمين ، فأغلب الظن أن أحمد أمين لم يكن عنده مانع من القول بأن الأدب العربى فى جميع العصور وفى جميع الأقطار لم يُخلق فيه كاتب يعرف كيف يشرح المعانى والأغراض على نحو ما يصنع الكتاب فى هذه الأيام !

والحق أن بُعد الدكتور طه حسين عن مصر فى أيام الصيف عرَّض الأستاذ أحمد أمين للمعاطب ، فلو أن الدكتور طه بقى فى مصر لكان من الجائز أن يعلن إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون ، وعندئذ كان يصح للأستاذ أحمد أمين أن « يتفصل » فيقول إنه لا يعرف فى الأدب العربي غير كاتبين اثنين ؛ وكان من الجائز أيضاً أن يعلن الدكتور طه إعجابه بكاتب ثالث فيقول الأستاذ أحمد أمين إنه لا يعرف فى الأدب العربى غير ثلاثة من الكتّاب !

فهل ترجون أن يتلطف الدكتور طه حسين فيقول إنه لا يُعقل ألا ينبغ فى الأدب العربى غير كاتب واحد فى ذلك الأمد الطويل الذى سيطر فيه على أقطار أسيوية وإفريقية وأوربية ؟

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة — وهى حق — لسَرَت عدواها إلى روح الأستاذ أحمد أمين فاندفع يثنى على الأدب العربى

بما هو أهله ، ولكان من الممكن أن يصرح بأن الأدب العربى نبغ فيه من الكتاب عشرات أو مئات

ولكن الدكتور طه يترفق بأصدقائه أشد الترفق ، ويحرص على ستر ما يقعون فيه من أوهام وأضاليل ، وقد يقدّمهم إلى الجمهور فى جلبة وضوضاء ، فكيف ننتظر أن يقول فى الأدب العربى كلمة حتى تشجع رجلاً مثلى على مواجهة رجل يستبيح فى النغض من أدب العرب مالا يباح ؟

لقد قضيت أعواماً طوالاً فى محاربة الدكتور طه حسين ، واستطعت أن أعدّل مسالكه الأدبية بعض التعديل ، فهل أستطيع اليوم أن أخوّفه من عواقب السكوت على أغلاط بعض زملائه الأعزاء ؟

إن الدكتور طه هو المسئول عن أحمد أمين ، فهو الذى قال : « إن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهديناه إليها » ومعنى ذلك أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على الكنز المدفون فى صدره

كنت أعرف أن الدكتور طه على خطأ يوم ظن أنه استكشف « الأديب » المدفون فى صدر أحمد أمين ، ولكنى رأيت ألا أسارع إلى تخطئة الدكتور طه ، علماً بأن الأيام سترد الدكتور طه إلى الصواب ، فهل ردته إلى الصواب ؟

لقد حدثتكم من قبل أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً مخلصاً للوظيفة لا يرى ما عداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين : كن أديباً ، فكان

واليوم أحدثكم أنى أخطأت ، والصواب أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما قال له طه حسين : كن أديباً ، فلم يكن !

يا دكتور طه :

هل تصدق القول بأن اللغة العربية لم يكن فيها كاتب يحلل المعانى غير ابن خلدون ؟

أحب أن أساجلك الحديث ، فقد ضجرت من مساجلة أحمد أمين

ما رأيك فى الرعيل الأول من الكتّاب بعد عصر النبوة ؟

ما رأيك فى الخطاب الذى وجّهه عبد الحميد بن يحيى إلى الكتاب ؟

ألا تراه غاية فى تحليل المعانى وتشريح الأغراض ؟

وما رأيك فى طريقة عبد الله بن المقفع وهو ينثر الحكم أو يكتب العهود ؟

إن كتاب كليلة ودمنة هندى الأصل ، فليس لابن المقفع غير الترجمة والتهذيب ، ولست من القائلين بأن كتاب كليلة ودمنة من إنشاء ابن المقفع ، ولكن ما رأيك فى مقدمة ذلك الكتاب ، وهى بالتأكيد من إنشاء ابن المقفع ؟

أليست تلك المقدمة شاهداً على أن ابن المقفع يجيد الاستيعاب والاستقصاء ؟

وما رأيك فى الكتاب الذين عرفتهم اللغة العربية بعد ذلك ؟

هل يستطيع إنسان أن يقدم ابن خلدون على الجاحظ إلا وهو محروم من نعمة الفهم والذوق ؟

إن الجاحظ كاد يستوعب جميع المعارف فى عصره ، وكاد يُنطق جميع الأحياء والأموات بما عرفوا وأحسّوا من دقائق الأشياء . والذى يقرأ رسائل الجاحظ ومؤلفاته يشهد المعارك والمصاولات بين أصحاب المذاهب والآراء ، ويرى كيف تصطرع الطبائع والنحائز والخصال

فهل يجوز القول بأن اللغة التى عرفت أدب الجاحظ ليس فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

وما رأيك فى ابن قُتيبة ؟

هل تذكر مقدمة كتابه « أدب الكاتب » ؟

إن « أدب الكاتب » هو فى الأغلب دراسات لغوية وصرفية ولكن ما رأيك فى مقدمة ذلك الكتاب ؟

أليست غاية فى التحليل والتشريح ؟

وقبل الجاحظ وابن قتيبة عرف الأدب العربى « مشاورات المهدى لأهل بيته » وأذكر أنك حاورتنى فى صحة هذه المشاورات وصح عندك أنها من الأدب المنحول ، وكانت حجتك أنها لم تذكر

فى غير كتاب العقد الفريد . وقد ضاق وقتى عن تعقب المصادر التى وردت فيها إشارة إلى تلك المحاورات ، فهل تظن أنها من بعض ما اخترع كتاب الأندلس ؟

المهم ، يا سيدى الدكتور ، أن نتفق على أنها سبقت القرن الرابع ، ولا يهمنا بعد ذلك أن تكون مشرقية أو مغربية ، كما لا يهمنا أن تكون من نتاج القرن الثانى أو الثالث ، فما يعنينا فى هذا المقام إلا أن نتخذها شاهداً على أن من كتّاب العرب من أجادوا التحليل والتشريح قبل ابن خلدون بأجيال طوال

ومن المؤكد أن مشاورات المهدى لأهل بيته ليست أول وآخر ما عرف العرب من هذا الطراز ، فلها أشباه كثيرة منها « حديث السقيفة » الذى قصه علينا التوحيدى والذى نقده ابن أبى الحديد

ولولا خوف الفتنة لأشرت إلى قصة دينية كثر فيها الحوار والتمثيل ، وهى من الشواهد على أن العرب تنبهوا من وقت مبكر إلى تحليل المعانى وتشريح الأغراض

وما رأيك فى أبى حيان التوحيدى ؟

ألا ترى أن أعماله فى القرن الرابع تذكّر بأعمال الجاحظ فى القرن الثالث ؟

كان الجاحظ يُنطق العلماء والفقهاء والأدباء ، وكذلك كان التوحيدى يُنطق من عاصروه بألوان كثيرة من صور الفكر والبيـان

ومن المؤكد أن التوحيدى أكتب من ابن خلدون وأسبق إلى تشريح الآراء والأهواء

ومن المؤكد أيضاً أن التوحيدى لا يقل عن أعظم كاتب عرفته اللغات الأجنبية ، وشمائله فى الأسمار تذكّر بشمائل أناطول فرانس

وهل يذكر الدكتور رسالة الطير والحيوان بين رسائل إخوان الصفاء ؟

لقد دلنا ابن أبى الحديد على واضع « حديث السقيفة » فتى نعرف الـكاتب المجهول الذى وضع « مشاورات المهدى لأهل بيته » ؟ ومتى نعرف الـكاتب المجهول الذى وضع « رسالة الطير والحيوان » ؟

قد نتعزى حين نيأس من معرفة المهندس الذى وضع تصميم الأهرام ، والمهندس الذى وضع تصميم إيوان كسرى . والمهندس الذى وضع تصميم قصر الحمراء ، ولكنا لن نتعزى أبداً عن اليأس من معرفة الـكاتب الذى وضع « رسالة الطير والحيوان » لأنه عندنا أعظم كاتب عرفته الآداب العالمية بعد أفلاطون

هل يذكر الدكتور ماقال يوم لقيته فى جريدة كوكب الشرق؟

لقد صارحنى الدكتور طه حسين بأن الفصل الذى حلت به رسالة الطير والحيوان فى كتاب النثر الفنى غير كاف ، وقد أجبت بأنه فصل من كتاب ، وتحليل هذه الرسالة يحتاج إلى كتاب خاص

فكيف يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون وفيها « إخوان الصفاء » الذين سجلوا معارف زمانهم أعظم تسجيل ؟

لقد أشرت من قبل إلى الميزة الخُلُقية التى امتاز بها أولئك القوم ، وهى نكران الذات ، وإلا فمن الذى يصدّق من أهل عصرنا أن جماعة من أهل البصرة أو غير أهل البصرة يخفون هويّاتهم عن أعين التاريخ مع تلك القدرة الباهرة على تشريح الحقائق والأباطيل ؟

وما رأى الدكتور فى ابن شُهيد صاحب «التوابع والزوابع»؟

ألا يسمح لهذا الـكاتب المبدع بأن يضاف إلى من يجيدون تحليل المعانى واستقصاء الأغراض ؟

إن ابن شهيد فى تلك الرسالة قارع المعانى الصعبة مقارعة الفحول ، ودخل فى شِعاب لا يهتـدى إلى مسالـكها غير المزوّدين بأضـواء البصائر والقلوب ، فكيف يُجهَـل ويعرف ابن خلدون ؟ !

وما رأيك فى التنوخى صاحب « نشوار المحاضرة » ؟

ألا يذكرك هذا الكاتب بكتّاب « الصور » من أقطاب الفرنسيس والانجليز والألمان ؟

لو كان التنوخى فى أمة غير الأمة التى طبع فيها ديوان ابن خفاجة مرة واحدة فى مدى أربعين سنة لجاز أن يخطر فى بال الذى قال إن اللغة العربية لم تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

وما رأيك فى ابن مسكويه صاحب « تجارب الأمم » ؟

ألم يهتد ابن مسكويه إلى فلسفة التاريخ قبل ابن خلدون بأزمان؟

وما رأيك فى الجرجانى صاحب « دلائل الإعجاز » ؟

هل ترضى أن توازن بين الجرجانى وبين لانسون ؟

إن الجرجانى فى كتابه دلائل الإعجاز أبرع وأعظم من لانسون فى كتابه L'Art d'écrire ولكن لانسون وجد رجالاً يعرفون قيمته الأدبية ، أما الجرجانى فله أخلاف ينسونه ويذكرون ابن خلدون !

وهل يمكن لرجل فيه بقية من الفهم والعقل أن يتناسى العظمة الفكرية عند أمثال عبد القاهر الجرجانى ؟ ومن قبل الجرجانى عبد القاهر كان أستاذه أبو الحسن الجرجانى الذى فصّل ما بين المتنبى وخصومه أعظم تفصيل ، والذى أدخل فى الأحكام الأدبية روحاً من عدل القضاء .

ومن قبل هؤلاء نشأ أحمد بن يوسف المصرى الذى برع فى تسجيل ما عرف عن معاصريه من محاسن وعيوب ، والذى وصل إلى الغاية فى شرح أهواء النفوس

وهل ترى أن يقف الأدب عند الرسائل والمؤلفات التى غلبت عليها الصفة الاصطلاحية ؟

إن ميدان الأدب أوسع من ذلك ، فإليه تضاف أعمال المؤلفين فى التصوف والأخلاق

إن صح هذا — وهو صحيح — فهل أستطيع أن أعرف رأيك فى الغزالى ؟

أنا أعتقد أن الغزالى من فحول الكتّاب فى اللغة العربية ، وأومن بأنه من المبتكرين فى تحليل النوازع النفسية والقلبية ، وفى كتاب « الإحياء » فصول تشهد بأنه من أئمة الفكر والبيان

إقرأ — إن شئت — بعض ما كتب فى الرياء تجده أتى بالأعاجيب فى التنبيه على المجهول من سرائر النفوس ، وتعرف — وأنت تعرف — أنه فى بابه أعمق من ابن خلدون وأقدر على التحليل والتشريح

قلت فى محادثة قريبة بأنه لا يسرك أن ترانى أعتدى على الناس.

لقد ذهب الناس ، يا سيدى الدكتور !

أليس من الحزن أن يحتاج الأدب العربى إلى من يحميه من غطرسة بعض الأساتذة بكلية الآداب ؟

إن الأستاذ الذى لم يعرف فى اللغة العربية كاتباً غير ابن خلدون لم يطلع أبداً على كتاب الفتوحات المكية ، فلو أنه كان اطلع على ذلك الكتاب لعرف أن عندنا كاتباً فحلاً هو ابن عربى الذى طوف بآفاق يجهلها أكثر الأدباء فى هذا الجيل

وهو أيضاً لم يطلع على مؤلفات الشعرانى الذى صور المجتمع المصرى فى القرن العاشر تصويراً نعجز عن مثله اليوم ، وأكاد أجزم بأن الصحف المصرية على اختلاف ألوانها ونزعاتها لا تعطى من صور مصر فى العصر الحاضر ما أعطته مؤلفات الشعرانى من صور مصر فى القرن العاشر

وما كان الغزالى ولا ابن عربى ولا الشعرانى إلا تلاميذ لأساتذة مجهولين وضعوا الأساس لحياة الفكر والتأليف فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية

هل تذكر المقريزى ، يا دكتور ؟

أنظر خطط المقريزى ، وتذكر العصر الذى عاش فيه المؤلف ثم وازن بينه وبين أى باحث من نوعه عاش فى الأقطار الأوربية ، فإن فعلت فسترى أن أسلافنا كانوا من أئمة الابتكار والابتداع

فبأى حق يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

إن ابن خلدون ممتاز فى الترتيب والتبويب ، وتلك هى الصفة

التى يمنيها أحمد أمين ، فأين هو من القلقشندى الذى بوّب « صبح الأعشى » تبويباً معدوم النظير ؟

وأين هو من السخاوى الذى صوّر القرن التاسع كأنك تراه ؟

وأين هو من الحركات العقلية الممثّلة فى ذخائر التفكير العربى والإسلامى ؟

الأدب ، يا دكتور ، له فنون تتجاوز ما أسلفنا من الفنون ، فأين صاحبك من الكتّاب الذين شغلوا أنفسهم بتشريح الدقائق النحوية والصرفية ؟

إن سيبويه ألف « الكتاب » فى القرن الثامن للميلاد ، فهل تعرف أن الأقطار الأوربية كان فيها مؤلف يشرّح أصول النحو والصرف كما صنع سيبويه فى ذلك العهد ؟

وهل يمكن أن يقال إن ابن خلدون كان فى التشريحات السياسية والاجتماعية أعمق من سيبويه فى التشريحات النحوية والصرفية ؟

وهل يمكن القول بأن جوهر العقل عند سيبويه أقل قيمة من جوهر العقل عند ابن خلدون ؟

إن الأستاذ أحمد أمين لا يرى غير ظواهر الأشياء، ولو كان عميق الفكر لعرف أن رجلاً مثل ابن هشام الأنصارى خليق بأن يوضع فى أول صف من صفوف الباحثين الذين يجيدون تشريح المعانى ، فهذا الرجل عرض مسائل النحو فى صور مختلفات ، وبذل فى ذلك جهداً يشهد بأنه فى غاية من سمو الفهم والعقل ، وقد استطاع أن يجعل القاهرة فى صف البصرة والكوفة وبغداد ، ومجموعة المحاولات التى بذلها فى تكييف المعضلات النحوية والصرفية أقوى من مجموعة المحاولات التى بذلها ابن خلدون فى تكييف السياسة والاجتماع

إن فقهاء الشرع الإسلامى كان فيهم فحول من الوجهة الأدبية ، ولكن أين من يدرك أن البويطى صاحب كتاب الأم كان من أقطاب البيان ؟

***

أين من يصدق أن البويطى عرض الخلاف بين الشافعية والحنفية عرضاً هو الغاية فى حسن التعبير ، ودقة الوصف ، وسداد الأداء ؟

ومع ذلك نجد من يقول بأن اللغة العربية لا تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

***

أما بعد فما الذى بقى لأحمد أمين وقد مزقنا أوهامه كلّ ممزّق ؟

بقى أن نبين أن أغلاطه ليست أغلاط الرجل المجتهد - وللمجتهد أجر حين يخطىء وأجران حين يصيب - وإنما أغلاطه مسروقة سرقة حرفية من بعض أدباء هذا الجيل

فكيف سرق أحمد أمين تلك الأغلاط ؟ وكيف خفيت سرقاته على الناس ؟

سنكشف تلك السرقات فى مقال أو مقالين ، ثم نتركه فى سلام ليتذوق البقية من أطايب رمضان ، إن لم يجدّ ما يوجب أن يفطر يوم العيد على حديث ذى شجون

زكى مبارك



على ذكر الحرب الراهنة

موقف العلم من الكمال الانسانى

للأستاذ توفيق الطويل

١ – العلم وتطور غاياته فى شتى العصور :

نشأ العلم جنيناً فى أحشاء المعرفة البشرية عند قدماء المصريين والهنود ومن إليهم من شعوب الشرق القديم ، وكان أداة لخدمة الحياة العملية ، ولتحقيق الملحّ من مطالبها ، ووسيلة لتنمية العقيدة الدينية وتوكيد سلطانها فى قلوب الناس ؛ ثم أقبل عصر الفلسفة اليونانية فجاهد أهلها لإنقاذه من عبء الحياة العملية وضغط العقيدة الدينية معاً ؛ ورفعوه إلى البحث البرئ الذى لا يعرف غاية يرى إليها إلا اللذة العقلية وحدها . ثم أقبلت العصور الوسطى وقد تمكن الدين المسيحى من قلوب الناس ، وهيمن على عقولهم ، فهبط العلم من سمائه وأدركته العبودية من جديد . إذ سخره أهله لخدمة الدين وتمكين نفوذه ، وأقام العلم على احتماله لهـذا الاستعباد حتى تمرد أساطين النهضة على سلطان الكنيسة ، وتولوه بالتحطيم والتدمير . وأقبل القرن السادس عشر ، وأوربا فى غليان فكرى أثار لوناً من الشك الهدام . أفقد الناس اليقين فى مجال العلم ، والاطمئنان فى ميدان العمل ، وحطم وحدة أوربا وتركها ركاماً وأنقاضاً ، واطمأن لهذا الانتصار الفاشل دعاة الشك اليائس : أجريبا وسانشيه ومونتانى . بيد أن الناس قد ضاقوا بدعوتهم وتطلعوا إلى اليقين والاطمئنان واستخفهم الرضا عن دعوة جديدة ظهرت فى أواخر القرن السادس عشر لمقاومة هذا الشك الهدام ، تولاها ثلاثة من أعلام الفكر هم : شارون وديكارت وبيكون ، فدعا الأول إلى الاطمئنان عن طريق الإيمان الدينى — وكان روح العصر لا يلائم دعوته — وبشر الثانى باحترام العقل واعتباره أصدق معين تستقى منه المعرفة الصحيحة فكان أبا الفلسفة الحديثة ؛ ونادى بيكون بالإيمان العلمى عن طريق التجربة ، وحدد للباحث طريقته ورسم له منهجه ، وأعلن ميدان العلم وغايته فى وضـوح لا يحتمل الالتباس فكان أبا العلوم الطبيعية الحديثة ، وعلى يديه خرج العلم من أحشاء المعرفة البشرية ، واستقل عن الدين والفلسفة والأدب ، وتميزت شخصيته وتحدد ميدانه وعرفت غايته . ذلك أن بيكون أعلن احتقار العلم الذى يدرس للذة العقل أو خدمة الدين ، وأكد الدعوة إلى ربط الأبحاث العلمية بالحياة العملية وقصرها على صالح الإنسان ومنفعته. فكان ميلاد العلم الحديث شبيهاً من بعض الوجوه بميلاده القديم . واستبسل بيكون فى الدفاع عن العلم حتى كفل له الاستقلال عن سائر ألوان المعرفة ، وحطّ عن كاهله عبء الأغراض الدينية ولكنه لم يكفل له حريته كاملة موفورة ، فأذلّه مرة أخرى وسخره لخدمة الحياة العملية وتوفير السعادة للناس . وهكذا بدأ العلم فى عصوره الحديثة مستقل الشخصية صاحب منهج محدود وغاية مرسومة ، يتهكم بالفلسفة ويسخر من أهلها ، ويبتعد عن العقيدة الدينية ويقيم الحدود الفاصلة بينه وبينها ، ولكنه مع هذا الاعتزاز الذى لازمه الغرور قد شعر بعد بأنه ليس سـيد نفسه . إنه مسخر لخدمة الإنسان ، ونجاحه رُهن بتحقيق هذه الغاية . فلما شب العلم بعد هذا ونضج عقله ، ثاب إلى رشده ، فكفّ عن الطعن فى الفلسفة ، وتقبل منها النصح بعد أن أرشدته إلى الكثير من أخطائه ، وأخذ يجاهد لتحرير نفسه من ذل الأغراض التى رسمها له أبوه ، وأصاب النجح فى مسعاه ، وحقق حريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح يدرس لذاته بقطع النظر عن كل غاية –بالغاً ما بلغ سموها– إلا إذا اعتبرت اللذة العقلية نفسها غايته . إنه قد تحرر من ذل الحياة العملية واستعباد العقائد الدينية وامتهان الأغراض القومية – أو هكذا يزعم أصدقاؤه وحواريوه – وأصبح يفاخر الأدب والفن والفلسفة بأنه سيد نفسه ، لا يخضع للعاطفة ، ولا يحترم الهوى ، ومنهجه موضوعى قائم على تعرف الشىء من حيث هو شىء ، دون نظر إلى علاقته بخير المجتمع وصالح الإنسان . وقد أدى هذا بقواعده إلى أن تكون بمنجاة عن التأثر بالزمان والمكان وما يلابسهما من ظروف . أما الفلسفة والأدب فإن أحكامها تقديرية بالإضافة إلى ذات شاعرة مدركة تتأثر بمزاجها وتتفاعل مع بيئتها وظروفها .

ووجه الخلاف بين هـذا المنهج العلمى الحديث ، والمنهج الذى رسمه بيكون قائم فى الغاية وحدها . كان بيكون لا يحترم العلم إلا بمقدار ما يحققه للانسان من خير ، وما يوفره للمجتمع من نفع وهناء ، فاسترد العلم حريته التى كانت له أيام اليونان ، وأصبح يجاهر على لسان المجمع البريطانى لتقدم العلوم سنة ١٩١٥ بأن العلم يطلب لذاته أولاً . قال رئيس المجمع ما خلاصته : إنى أقدر العلم حق قدره ، وأُكبِر خدماته للمجتمع الإنسانى ، ولكنى أعلن أن العلماء إذا اغتبطوا للظفر بما تضم الأرض من ثراء ، وما تنطوى عليه كواكب السماء وجواهر المادة من قوة ،

فليس مَرَدّ اغتباطهم إلى أنهم يرفعون الثروة المادية فوق اللذة العقلية ؛ وإنهم ليستشعرون اللذة مضاعفة عند ما يستعملون قوى العقل للوصول إلى منفعة الأمة ، ولكن هذا كله لا ينبغي أن يمنعنا من تخطئة الحط من شأن المبادئ الأدبية ، فإن هذا الامتهان قد ولّد الرأى الفاسد القائل بأن القوة تخول صاحبها امتلاك ما يشاء (لعله يقصد ألمانيا التي أشعلت الحرب الكبرى قبل خطابه ببضعة شهور) . ثم قال المجمع فى اجتماعه الذى عقده بعد ذلك بعشر سنوات : إن القائلين بأن غاية العلم هى التسلط على قوى الطبيعة لخدمة الإنسان ـ وهى دعوة بيكون ـ يبالغون فى الاعتقاد بصحة ما يزعمون ، فما كانت المنفعة أكبر الأسباب التى حملت العلماء على مواصلة أبحاثهم ، ولكن أول غرض يرمي إليه العلم ، إنما هو الكشف عن قوى الطبيعة ومعرفة ما بينها من صلات ، وتصنيفها حتى يأتلف من مجموعها نظام معقول . ذلك أول أغراض العلم ؛ أما المنفعة المادية فيجتنيها الناس بعد من وراء ذلك ، وبهذا يصبح الاشتغال بالعلم لذة عقلية تكاد تلحقه بالفنون الجميلة ! ...

والعلماء الذين يبلغون مناهج العلم العليا يشعرون بالرابطة التى تصل بين العلم والفن ، ويجعل الطبيعة موضوع بحثهما معاً لغير ما غاية إلا التملى بجمالها . إن التحليل الجبرى المنظم لشبيه بالنغمة الموسيقية ذات التوقيع المتسق، وهذا تشبيه يثير دهشة الذين لا يرون فى الجبر إلا أرقاماً وعلامات ، ولكنه مقبول عند الذين يعرفون نسبة هذه الأرقام والعلامات إلى المعنى الذى تخفيه وراءها ، فهي كنسبة العلامات الموسيقية إلى الأنغام المطربة، والأثر الذى تخلّفه فى نفوس سامعيها . ثم يعزو رئيس المجمع اهتمام العلماء بالعلوم الطبيعية إلى ما تنطوى عليه مباحثها من بهجة وجدة ، لا إلى ما ينتظر من ورائها من نفع مادى، وإن كان تحقيق هذا النفع أمراً أكيداً !

بهذه الروح « الفنية » يتحدث العلماء المحدثون عن العلم وغاياته . كان بيكون فى مستهل العصور الحديثة يتهكم بالعلماء الذين ينفقون الوقت الطويل فى الدراسات النظرية التى لا ترى إلى خدمة الإنسان ، فأصبح العلماء فى آخر القرن الماضى يتحدثون عن علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الأدبية ، ومشاركتها لها فى تهذيب النفوس ، ويقولون إنا نلوم العلوم الأدبية إذا اقتصرت على دراسة الإنسان وأعماله ، وأهملت ظواهر الطبيعة وقواها ؛ ثم نلوم أنفسنا إذا اقتصرت ـ علومنا الطبيعية ـ على النظر إلى الطبيعة ولم تتجاوزها إلى الإنسان وأعماله . ثم تطورت هذه الروح فى القرن العشرين حتى أصبح العلماء يفكرون فى العلاقة بين العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، ويتحدثون عن الجمال الذى تكشفه الدراسات إذا انصبت على ظواهر الطبيعة ، ويتكلمون عن أثر هذا « الجمال » فى نفس العالم وتشجيعه على مواصلة البحث ، وإن لم ينكر هؤلاء العلماء ما يترتب على دراساتهم من نفع إنسانى لم يقصدوا إليه ، ولم يتجهوا إلى تحقيقه.

تلك أحدث وجهات النظر فى فهم العلم الطبيعى وتجديد غاياته فيما نعلم

٢ — تبعات العلم فى الحرب والسلم

تحرر العلم من تبعة الويلات التى قد تترتب على بعض مبتكراته ومخترعاته ، وإن لم ينج من النقد الحر الذى ترتفع به صيحات الناس إبان الحروب وبعد أن تخمد نارها ، فإن الحرب إذا اندلع لهيبها قصر العلم غايته على تقديم الوقود لها ، وخص بلاده بكل جهوده ، وتحول العلماء بين جدران معاملهم إلى جنود بواسل ، يبذلون الجهد صادقين فى إنقاذ الوطن ، أو يفرغون الوسع جاهدين لتحطيم أعدائه ، ولهذا انصبت اللعنات على العلم دون حساب ، وأحس أهله — فى فترة مضت — بحرج مراكزهم ؛ فأخذوا يلتمسون لأنفسهم الأعذار . وتذرع المجمع البريطاني بحجة أعلنها سنة ١٨٩٩ ، ثم كرر إعلانها سنة ١٩٢٥ فقال : إن الجندى يسعى لحفظ حياة الأفراد ، أما العالم فإنه يجاهد لحفظ حياة النوع بالعمل على إيقاف الحرب بما يخترع من آلات التخريب وأدوات التدمير ، والظفر فى الحرب يكسب السلم الذى يصون الحرية الفكرية ويستأصل الشر الذى يجور على محبة الأمم ويبشر بالحق والمحبة فى بقاع الأرض طُرّاً ... ! وهذا العذر يكاد لا يفترق عن الحجة التى تذرع بها نابليون يوم طمع فى إخضاع العالم وتوحيد حكمه . وقد ردد الحلفاء صداها فى الحرب الماضية ، وتثار اليوم فى الحرب الراهنة التى ترى إلى القضاء على المتارية التى أنهكت أعصاب العالم وهدت قواه ، بما تظهره من امتهان الوعود والحنث بالعهود . فكأن رجال العلم حين التمسوا لأنفسهم الأعذار عن تسخير علمهم لغرض قومى عملى ، قد تحوّلوا إلى رجال سياسة ! وقد كان فى وسعهم أن يقولوا إن الحروب إذا اندلع لهيبها ، انقلبت الأوضاع واضطربت الغايات، وأصبح من واجب العلم أن يلبي نداء الأوطان. إن المواطن فى أعرق البلاد نزوعاً للحرية والديمقراطية ، يكاد أن يستحيل آلة فى يد الوطن إذا حاق به خطر ، فلماذا ننكر على العلم خروجه عن حريته، ومرضاته بخدمة غرض قومى متى دعا الداعي ونادى الوطن؟

ورغم أن العلم قد تحرر من ذل الأغراض فما زال مثاراً لاتهامات تنصب عليه فى أيام السلم كذلك ، وحجة المتهمين أن مخترعاته قد ترتب على بعضها ما يراه البعض شراً وأذى ، وقد يطالبونه بتحقيق ألوان من السعادة الموهومة ويحاسبونه على عجزه عن تحقيقها ! قال الرئيس ولسون : إن العلم قد أخفق فى تحقيق الإصلاح العاجل وتوفير الفردوس الأرضى للناس . إنه أفادنا فى عالم المادة وحررنا من خوف الخرافة والمرض ، ولكنه فشل فى تغيير الطبيعة البشرية وتخليصها من أدران الأحقاد والضغائن ، وبذلك ظل الناس عبيداً لأنفسهم. فرد عليه المجمع البريطانى قائلا: لماذا نلقى على عاتق العلم تبعة الفشل الذى انتهت إليه آمال لم يَعِدْ العلم بتحقيقها ؟ إن العلم لا يدعى إصلاح الطبيعة البشرية ، وقد يكون فى مقدوره أن يغير البيئة ويزيد فى منفعة الإنسان، ويوسع من رحاب مداركه، ولكنه غير مسئول إذا أساء المرء استعمال آثاره. فعلم الطب قد يطيل حياة الناس ، ويكفل لهم الصحة والعافية ، ولكنه غير مسئول عن كيف تُقْضى الحياة التى نجح فى إطالتها. وقد يكفل للأشرار القوة كما يكفلها للأخيار ولكن ذلك لا يبرر المطالبة بإغلاق المستشفيات حتى لا يفيد منها دعاة الشر والإجرام

ترى مما أسلفنا أن العلم وإن كان قد بدأ فى العصور الحديثة موصول الرابطة بصالح الإنسان ، إلا أنه مضى فى تطوره حتى أزاح عن كاهله خدمة المجتمع واسترد حريته وسيادته ، وأضحى عند أهله بحثاً موضوعيا يعيبهم على التملى بجمال الطبيعة واستشمار اللذة العقلية عند فهم ظواهرها . أما المنفعة المادية فتجىء عرضاً من تطبيق نتائج العلم لصالح المجتمع . واعتبر المحدثون توجيه العلم للنفع المادى استعباداً للعقل وامتهاناً لقداسته ، بالإضافة إلى ما ينشأ عن تقييد حريته من انحطاط فكرى شهد به تاريخ الفكر منذ أقدم العصور . وما دام العلم فى عهده الأخير لا يتصل بالكمال الإنسانى اتصالاً مباشراً ، وهو زاهد فى ثناء الناس على ما قدم من خدمات ، غير مستعد لاحتمال التبعات التى يلقيها على عاتقه خصومه ، فليس من حقنا أن نتولاه باللوم كلما تطايرت إلينا أنباء الحروب وفظائعها . وإن كان لا بد من الحديث عن موقف العلم من الكمال الإنسانى لمعرفة ما حققه من خير وما جره من ويلات — وجب أن نتحدث عن العلم فى أول مراحله كما صوره فرنسيس بيكون أداة لخدمة الإنسان. والكلام على بيكون وتبشيره برسالة العلم والمدنية، يذكرنا بجان جاك روسو ورسالته القائمة على الدعوة إلى الطبيعة والعيش على مقتضى الإلهام والفطرة البسيطة ؛ وذلك ما نخصص لمناقشته مقالنا القادم

ت . الطويل

الحد الفاصل
بين أدب الروح وأدب المعدة

للأستاذ محمود علي قراعة

قرأت لأستاذنا الدكتور زكي مبارك في العدد ٣٢٥ كلمة ذكر في آخرها آية كريمة وسألنا هل نعدها أدب معدة أم أدب روح. وهو بذلك يحاول أن يدخلنا في الميدان الذي دخل فيه متحدياً كل فكرة روحية، متهكماً على كل نزعة سماوية، مستنداً بذلك إلى مكانته الأدبية ولباقته وما أوتي من قوة غريبة على الدفاع عن القضايا الخاسرة. وهو لذلك يقف دائماً نصيراً لكل فكرة حسية ويقف نفسه موقف العداء لكثير من المعنويات وإن كان قلمه السيّال كثيراً ما يجرفه ويخرجه عن الحسيات إلى المعنويات والروحيات من غير أن يشعر. والحقيقة أن الدكتور زكي مبارك مشكلة لأنه خليط لم يمتزج بنسب معينة من القوى النفسية المختلفة، فتارة تراه الخير كله والإخلاص كله والوفاء كله، وآونة تجده يميل كل الميل إلى الخروج عما يتصل بالروح إلى النزول إلى ما يوثقه بكل أرضي وبكل نازع لحسي. وفي تاريخه أمثلة متضاربة لكل ما يمكن تصوره من الميل إلى أحد هذين الجانبين؛ فتارة تراه صوفياً مدروشاً، وأخرى تلفيه ساخراً بالحياة وعابثاً فيها. ولكن إذا كان أستاذنا الدكتور يرى لنفسه الحق في أن يتشكل كما يشاء وأن ينضم إلى الجانب الذي يريد، فلا أدري لماذا نراه متهكماً على كل فكرة روحية ومحارباً لكل النازعين إليها؟! كثيراً ما ردد في الرسالة كلمة أدب الروح وأدب المعدة، لا لأن الاصطلاح في ذاته غير موفق بل لأن أستاذنا أحمد أمين قد وضعه لتقويم الأدب وصحة تقديره. ولأستاذنا الدكتور الخيرة في أن يواصل حملاته على صديقه أو أن يقفها لأنه حر إذ لم يرد أن يسمع رجاء تلاميذه وإخوانه في أن النقد ممكن من غير خصومة كما فعل أستاذنا الدكتور عبدالوهاب عزام؛ ولكن الذي لا نقره، ولا نستطيع السكوت عليه أن نغفل مناقشة ما يرد في حملاته مما عسى أن يمس الأدب في ذاته من قريب أو بعيد. فأستاذنا أحمد أمين يعني بأدب الروح الأدب الذي يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها؛ ولذلك رأى أن القرآن أدب روح لأنه يسمو بالإنسان عن عالم المادة ويأخذ بيده إلى السماء لينظر إلى الأرض وما فيها نظرة تريه الحق حقاً والباطل باطلاً. ولكن أستاذنا الدكتور زكي مبارك تأبى عليه نزعته الحسية إلا أن يعارض هذا. ورأى أن أقرب مثل يؤيد وجهة نظره أن يذكر ما في القرآن من آيات تذكر وجود أشياء حسية في الجنة، مع أنه كان يجب على أستاذنا الدكتور أن يرى أن أقل ما يمكن تصوره في عالم سيخلو من البؤس والفقر والهرم، ولن تهيئ طبيعته المجال لظهور الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما يدخل تحت كل منها من فضائل إنسانية، أن ينعم الناس فيه بالاتحاد والمحبة فتتاح لهم أنواع المحبة من إلهية وصداقة أخوية، وفهم نزوع الأشياء المادية التي ستوجد هناك إلى التمتع بفكرتها الروحية، فما وجد من جميل صور من حور وولدان، نزع به إلى فكرة تقديس خالق هذه الصور، وما وجد من قصور وأنهار وفاكهة نزع به إلى النشوة الروحية من وجود هذه الأشياء، وأن ليس معنى هذا خلو الجنة من استلذاذ بالحور العين الاستلذاذ الحسي أو بما هنالك من مأكول ومشروب وحلي وحُلل، وبذا نضع الفكرة الروحية في درجتها الأولية ونجعل الحسيات في درجتها الثانوية، بل ونسمو بها إلى فهمها الفهم القريب من الروح. ونحن بذلك نسمو باللذة الممكن تصورها في الجنة من غير نكران لحسيتها بجعلنا الحسي تابعاً للروحي إذ أكثر جزئياته روحية.

ولو تدبر الدكتور قوله تعالى في سورة السجدة: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وقول النبي (ص) في حديث قدسي عن ربه تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» لوصل إلى أن المذكور في القرآن في سورتي الرحمن والواقعة وغيرهما وفي الأحاديث الصحيحة لا يفيد أن المذكور مذكور على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل لما سيوجد، ولعرف أننا وقد استبعدنا الأخذ بالنظرية التصويرية لمخالفتها لكثير من النصوص وما تحتمله قرائنها مثل الطمث للحور، لا نجد أمامنا إلا أحد أمرين: إما أن نأخذ بالنظرية الحسية أي بتغليب اللذات الحسية على الروحية، أو أن نأخذ بالنظرية الروحية التي تغلّب اللذة الروحية على الحسية

فلو أخذنا بحسيتها تغليباً ، لنزلنا بها ولشبهناها بلذة الدنيا المتواضعة فأخرجناها من سموها الذى يجب أن تكون فيه لتتلاءم مع نفوس أصحابها ، ولذا لم يكن بد من أن نأخذ بروحية اللذات تغليباً .

وعلى ذلك فذكر القرآن الكريم الأشياء المادية حتى على فرض الأخذ بالنظرية الحسية إطلاقاً لا يفيد أن القرآن أدب معدة وهو مملوء بما يفيد أن الجنة جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى .

وليتل دكتورنا إذا شاء قول الله تعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما » وقوله تعالى « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقوله «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» وقوله « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون » وقوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقوله حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للا يمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[1] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها[2] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » وقوله : « إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق » وقوله : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين[1] »

فهذه الآيات الكريمة وأمثالها التى كثُر ذكرها فى القرآن الكريم أكبر دليل على أن القرآن روحى لأنه جعل الجنة (حتى لو أخذنا بحسية اللذات إطلاقاً) جزاء المجاهدين والصالحين والمتقين والمؤمنين والمستغفرين ؛ أى جزاء من سمت روحه بالإيمان وزكى نفسه بالتقوى وكان روحانيا بالجهاد والعفو والصلاح

ويرى أستاذنا أحمد أمين أن باب الحماسة فى ديوان الحماسة مثلاً أدب روح لأنه صادر عن نفوس قوية، وباعث لمشاعر قوية ، وداع لمواجهة هذا العالم وما فيه بنفوس أبية ، فى غير خضوع ولا استخذاء ، فلم يعترض أستاذنا الدكتور زكى مبارك على هذا لأنه لا يستطيع مهما كان نصيراً للحسية أن يقول بغير هذا ، لذلك نجده بلباقة زكية مباركة قد أغفل ذكر الحماسة وتخطاها إلى ذكر الغزل والحب . فأستاذنا أحمد أمين يرى أن غزل جميل وكثير والعباس بن الأحنف ، أدب روح ، لأنه يصهر النفس ويطهرها ويجعل من آلامها وآمالها مبعثاً لفيض الحنان والرحمة والعطف على العالم وعلى الإنسانية كلها. وقال إن الغزل الفاجر أدب معدة وإن تعليل ذلك واضح بقليل من إعمال الفكر ، فأن أستاذنا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٣٢٢ من الرسالة يعارض هذه الفكرة بقوله : « . . . لا يمكن للمرأة أن تكون مصدر وحى وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسية ، ومن قال بغير ذلك فهو رجل ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجال والنساء »

ويقرر أن رجال الأخلاق لم يستنكروا الشهوات إلا بسبب الإسراف ؛ أما الشهوات فى حد ذاتها فهى من دلائل العافية ، وأن فضيلة العفاف لا يقام لها وزن إلا حين تصدر من رجال مزودين بحيوية الشهوات ، وأن للشهوة الحسية صلة بتفوق الرجال فى الميادين العقلية ، وهذا ليس مستبعداً من أستاذنا الدكتور الذى يعبر فى كل كتاباته عن ميله للحسيات

(١) والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة على تفسير ابن قيم الجوزية فى كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٦٧

(٢) والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها

(١) فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم

وهو بهذا ينصر أدب المدة ؛ لأنه ينصر الحب الفاسد ويخذل أدب الروح ، لأنه يخذل الحب الروحى الذى يجمع بين قلبين ، ولكن الغريب مع هذا أن نجد لأستاذنا الدكتور بعض كتابات تجعله من أنصار أدب الروح فمثلاً وقد فتحت الآن كتابه «ذكريات باريس» قد صادفتنى ص ١٣ وفيها يقول وصفاً لحسناء «هى فتاة ناهد حسناء رشيقة القد ، مشرقة الجبين ، فى عينيها النجلاوين بقايا خطيرة من سحر هاروت وماروت ... وفى صوتها غنّة موسيقية ... ولأناملها رقة جذابة تفيض بالكهرباء ... وفى خطراتها تكسر وتثن ... ولها رفق بارع فى إذكاء نار الحب والوجد فيمن تختار من أصحاب القلوب ... » فهذا الوصف من أدب الروح لأنه يعطى القارئ فكرة روحية عن حسناء زكى مبارك الجميلة. وكذلك أعد من أدب الروح مقالة الحب الأثيم فى باريس ص ١٥ وما بعدها ، لأنه وإن حدث عما فى حدائق باريس من عشاق متعانقين ومتعانقات فوق المقاعد مظللين بالأشجار المورقة ، فقد كتب مقاله ليقرر « أن الشاب الذى يحمله جنون الشباب على غشيان المواخير القذرة ثم يحمل مرضاً يعيا فى برئه الأطباء » إنما يخدع نفسه بقوله إنها تجربة ، وإن كان قد أبى عليه حبه للحسيات إلا أن يجعل جزءاً منه أدب معدة بتقريره بوجود حب شريف غير الهوى العذرى المعروف عند العرب « وهو الذى يجرى بين فتى وفتاة أو رجل وامرأة لغرض غير مادى وتقع حوادثه فى الأوساط المعروفة بالاستقامة وحسن السمعة ... ويستبيح أشنع الذنوب والآثام ولكنه مع ذلك يجرى فيه الأرق وتسيل من أجله المدامع ، وتعرف فيه نكايات الوشاة والعذال ، وتتخذ من أجله الرسل ، وتدون له المكاتبات ... » ولعل الحد الفاصل بين الحب الروحى والحب الفاسد هو أن الصلة فى الحب الروحى تصل بين روحين وقلبين ، كما رأينا فى رفائيل لامارتين وتعريب أستاذنا أحمد حسن الزيات ؛ ففى ص ٨٢ تستنكر جوليا أن يتدلى الحب إلى اللذة الحسية الوضيعة ، أو يتدنى إلى الشهوة الدنسة الحقيرة لأنه إذ ذاك يفقد كبرياءه ونماءه وبقاءه . فيجيبها رافائيل فى ص ٢٠٢ : بأن نار الحب القدسية قد أتت على هذه الشهوات الباطلة والنزعات السافلة فحولتها إلى لهب صاف كقلبها نقى كحبها . ولذلك لا أدرى كيف يستنكر أستاذنا الدكتور أن يسمى ما يتصل بالروح كرواية رفائيل أدب روح ، وما يتصل بالجسد أدب معدة لأنه يتصل بالمعدة؟ وكيف أجاز لنفسه أن يدعى أن القائلين بروحانية الأدب قد خلوا من الفتوة ، أو أن المرأة لا تلهم الرجل إلا باشتهائها حسيًّا ، أو بمعنى آخر إلا إذا كانت الصلة بينه وبينها بهيمية ، بمعنى أنها إذا كانت روحية بريئة لا تلهم على رأى الدكتور وفى هذا ما فيه من النزول بالصلات وما فيه من الإلغاء للشعور القلبى والقرب من البهيمة التى لا يهمها من الفحل إلا عملية التلقيح

ويقول أستاذنا أحمد أمين إن أدب الطبيعة أدب روح ، لأنه شعور بالجمال مجرداً عن الرغبة وتقدير للحسن منزها عن الأثرة ، ومزيج من شعور بجمال وجلال يحد من كبرياء الإنسان ، ونبل هذا الأدب إنما يرجع لنبل غرضه . وظاهر أن غرض المتغزل فى الطبيعة التى خلقها الله ، هو التفكير فى خلق الله ، وفى تقديس ما أوجده الله لنا من أشياء حسية تدل فى خلقها ، وسمو صنعها على جليل قدرته وعظيم قوته ، أى أن أستاذنا أحمد أمين يرى أدب الروح هو كل أدب انبعث عن عواطف نبيلة ويدفع إلى أعمال نبيلة ، ولا أظن أستاذنا الدكتور زكى مبارك يعترض اعتراضاً جدياً على هذه التسمية

أما أدب المعدة فيرى أستاذنا أحمد أمين أنه ذلك الأدب الذى يدور حول ملء المعدة واستدرار المال وتحصيل القوت ، ومثل لذلك بالغزل الفاجر ومقالات الكاتب التى باعثها الأول ملء الأعمدة والاستيلاء على الأجرة ، وأدب المديح ؛ وظاهر أن سبب هذه التسمية ضعة الأدب الذى يكون باعثه استدرار عطف من يغدق على المادح المال أو يفيده من الجاه ، وتفاهة الأدب الذى يكون باعثه الأول لاحب الأدب فى ذاته أو الرغبة فى البحث فى ذاته أو الاقتناع بفكرة بعينها ، بل لأنه مسوق إلى أن يكتب موضوعاً معيناً وإلى أن يصوغ فكرة معينة على أسلوب معين على قدر كذا من الأعمدة ليتقاضى كذا من الجنيهات ، وكذلك الغزل الوقح أو الوصف المكشوف لما ينزو بالرؤوس ويحرك الشهوات ، فلا ريب فى أنه وضيع لاتصاله بالضعة ، وعلى ذلك يمكن أن نجعل الغزل من أدب الروح إذا أخرجناه عن تحريك الشهوات وكان القصد منه الحديث عن صلة

استطلاع صحفى

٥٠ قرناً فى المتحف الحربى

جولة بين آثار الماضى والحاضر

(لمنـــدوب الرســـالة)

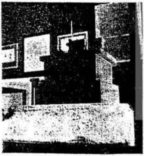
حمى الحرب تهز أطراف كل إنسان . ولئن اختلف الناس فى ضرر الحرب وضرورتها فانهم يتفقون فى وجوب الاطلاع على تاريخها وحالة جندها ونتائجها . ومصر أمة قديمة لها تاريخها الرائع الذى صحب المدنية من مهدها إلى الآن والمطلع على تاريخها يجد فيها تطور الأسلحة وأدوات القتال من المقطع الصخرى إلي المدفع المدمر . فاذا جاز للأمم أن تشيد لها متاحف حربية فان مصر أولاها بهذا الحق

وقد شرعت وزارة الدفاع الوطنى فى تكوين نواة هـذا المتحف ووصلت إلى نتائج طيبة . وأتيح لى أن أجول فى هذا المتحف وهو في فترة تكوينه . وهأنذا أقدم القارئ بعض ما رأيت راجياً أن يتاح له فى القريب العاجل أن يرى هذا المتحف بعد أن يتم أمينه النقيب عبد الرحمن زكى أفندي جزءا من برنامجه ، ولست أقول كله لأنى أعرف أحجامه ومراميه

خمسون قرناً من الزمان

إذا خلوت إلى نفسك وطاب لك الاستجمام فاستعرض فى مخيلتك تاريخ مصر الحربى منذ فجر التاريخ إلى الآن . فتصور كيف كان المصريون يكافح بعضهم بعضاً فى عصور ما قبل التاريخ . ثم كيف كانوا يغزون القرى والبلاد ويفتحون الممالك فى عصر الأسر الفرعونية وفى عصور الفرس والرومان والبطالسة وفى العهود الإسلامية . واستمر فى وصل حلقات التاريخ من عصر المماليك إلى الآن ؛ ولا يفوتن مخيلتك أن تستعرض الأسلحة التى استعملوها والملابس التى ارتدوها والأسلاب التى غنموها والقلاع التى حصنوها والمواقع الحربية التى اشتركوا فيها بما فى ذلك صور أبطال تلك المعارك

وقدر بعد هذا كم تكون هذه الصور واضحة، وماذا تعرف من تاريخ مصر ومن سير أبطال مصر . لقد جلست من قبلك فوجدت أن حقباً كاملة تمر غامضة ؛ بل إن أكثر الفترات وضوحاً لدى كان ينقصها كثير من التفاصيل . حتى الفترة الحالية مع أنى أعيش فيها وأخالط رجالها العسكريين وأزور معاهدهم كل يوم ما زالت مبهمة، وما زلت فى كل يوم أرى جديداً لم أشاهده من قبل . فإذا استعرضت هـذا الماضى الطويل وعرفت أثره فى تربية النشء وبث الروح القومية أدركت حاجتنا الماسة إلى متحف يضم تلك الذكريات العظيمة فيشاهد الصبى تحتمس أو رمسيس أو صلاح الدين أو ابراهيم وقد تقلدوا أسلحتهم ودافعوا عن كرامة بلادهم . فهل تظن أن من يشاهد عز أولئك يرضى بالذلة لنفسه ؟ محال ! فالذكرى تنفع المؤمنين



قلعة رمسيس الثالث
هكذا كانوا يشيدون قلاعهم على المرتفعات
كى ينالوا العدو ولا ينالهم

مشروع ضخم

وإذا كانت مصر قد عاشت تلك السنين الطويلة بدون متحف حربى عام فقد أنشئت عدة متاحف ضمت عدة مجموعات من الأسلحة أهمها ما هو محفوظ الآن فى المتحف الحربى فى قصر عابدين . وقد تنبهت وزارة الدفاع الوطنى منذ سنوات إلى أهمية هذا المشروع فقدرت إنشاء متحف حربى عام عينت لإدارته لجنة من كبار ضباط

قلبية روحية أو تصوير صورة حسية تسمو بالقلب أو ترق بالروح ، ويمكننا أن نرى من الكتاب من يكتب كل يوم مقالاً ويتقاضى عليه أجراً ، ولكنه يأبى أن توضع لى الفكرة أو تملى عليه إرادة ويأبى ألا أن يوحى إليه ضميره ويفتيه قلبه وعقله ، فلا يمكننا إلا أن نعجب بأدبه وأن نقر بأن أدبه أدب روح لأنه من الروح وإلى الروح ، وكذلك يمكن أن يكون المدح لعظيم يستحقه من مادح لا يبنى بمدحه إلا تقرير الحقيقة ، أدب روح لأنه يضع لنا صورة حقيقية تسمو بالروح . وبعد فهذا هو ما نراه حداً فاصلاً بين أدب الروح وأدب المعدة ، أرجو أن يقره أستاذنا الدكتور زكى مبارك وأن يكون به من أنصار أدب الروح ، والسلام .

محمود على قراعة

الجيش المصري واختارت حضرة النقيب عبد الرحمن زكي افندي أميناً له .



هذه تماثيل الضباط والجنود
وهم يرتدون الملابس العسكرية

وشرع أمين المتحف من اللحظة الأولى في وضع برنامج الإنشاء فزار الأماكن التي توجد فيها آثار حربية مصرية سواء كانت هذه الأماكن معاهد عامة أو منازل خاصة . فكثير من ضباطنا الذين اشتركوا في حروب السودان وأغلب أمراء العائلة المالكة يحتفظون بمجموعة ثمينة من الأسلحة وخصوصاً من عهد محمد علي إلى الآن . وليكون تنظيم المتحف على أحدث طراز سافر أمينه إلى بلاد أوربا فشاهد هناك أحدث الطرق لحفظ الآثار وأبرع الوسائل لعرضها على أنظار الجمهور حتى تؤدي الغاية المقصودة منها سواء كانت قومية أو تعليمية

وقد يكون من الصعب على الإنسان أن يتخيل صور مصر الحربية خلال خمسين قرناً فإذا قارنا بين إنسان يتخيل صورة وبين آخر يحاول أن يخلق صورة واضحة استطعنا أن ندرك ضخامة العمل وما يحتاج إليه من جهود . فإنشاء النموذج الواحد يستلزم الرجوع إلى عشرات المؤلفات والصور . فها هو مثلاً نموذج لقلعة بنيت في عصر رمسيس الثالث يتطلب بناؤه زيارة القلعة الحقيقية ومعرفة تخطيطها ثم الطريقة التي تبعها المصريون الأقدمون في حروبهم والأسلحة التي استعملوها لمغالبة مهاجميهم حتى تتكون لدينا صورة صحيحة عن استعداد القلعة وشكلها وهذا يستلزم منا أن ندرس عشرات المراجع لنتأكد من صحة ما نصنع



الى الأمام
جندي يدعو زملاءه إلى النصر
ويهتف « لبوا نداء الوطن »

فالآثار التي تركها الأقدمون قد عصفت بكثير من معالمها تقلبات الزمن وتوالي الحروب بين غزو وفتح . هذه القلعة التي تراها في لمحة بصر احتاجت من منشئها إلى عدة سنين استعان فيها بدراسة غيره وخبرة نفسه . فالعبرة في المتاحف أن تكون معروضاتها صورة تاريخية صحيحة وليست بناء يسهل على الناقدين نقضه وإثبات خطئه

نواة صالحة

ويتكون المتحف الحربي الحالي من ثلاثة طوابق . يشغل الطابق السفلي منه وهو « البدروم » مصنع أعد لصب التماثيل ، وأعمال النجارة لعمل الخزائن الزجاجية التي تحفظ المعروضات . ويشتغل في هـذا المصنع فنانون مصريون درسوا الحياة العسكرية فعرفوا دقائق تقاطيع وجه الجندي المصري إذا اشتبك في ساحة القتال أو جلس في ثكنته ينشد التدريب العسكري ، ويستعد لطوارئ الزمان وهم يوجهون اهتمامهم الآن لتسجيل نماذج الجندي المصري الحديث فصبوا أجساماً من « المصيص » دهنوها بالأصباغ ، وألبسوها حلل الميدان أو التشريفات . فلا تكاد تراها حتى تشعر بأنك أمام جندي أو ضابط مصري في وقفة عسكرية لا أثر فيها للكلفة . وإني لأضحك من نفسي كلما تذكرت المرة الأولى التي شاهدت فيها هذه التماثيل إذ ما كاد باب الحجرة ينفتح وأرى من فيها حتى رفعت يدي بالتحية ولا سيما عندما وجدت ضابطين واقفين قبالة بعضهما كأنهما يتحادثان



على جدران السلم
صفت أنواع من الأسلحة ولوحات
كتب عليها تاريخ الوقائع وقوادها
والبلاد التي تأثرت بالحرب

وتعجب أشد العجب إذا عرفت أن هذه النماذج لا تصنع واحداً واحداً بل تصنع بالعشرات؛ فما هي أجزاء نماذج جديدة لن تلبث حتى ترسل إليك نفس الشعور بالحياة . وتتكون هذه العملية من عدة مراحل ، فتصب أولاً أجزاء التماثيل على

انفراد فترى الساق وحدها والصدر منفصلاً عن الظهر ، ثم الرأس موضوعا في مكان آخر .

ويتناولها الفنان فيكون من هذه الأجزاء المتناثرة المتماثلة وحدة مختلفة بما يسبغه عليها من ألوان، وعلى تقاطيع وجوهها من معجون، يرفع الأنف أو يوسع العينين. ويشرف على هذه الحركة الدقيقة الأستاذ محمد نجيب المثال


قارع الطبل
من غنائم حرب السودان وفيها يدعو الجندي محاربي قبيلته إلى السلام

صنع في مصر

وأول ما يواجهك عند دخولك المتحف مجموعة من « المسدسات » صفت على الحائط وكتب عليها « صنع في مصر » فهي دليل حي على ارتقاء صناعة الأسلحة في بلادنا في عهد محمد علي. فإذا دخلت إلى القاعة التالية شاهدت نماذج جنود مصر في ذلك الوقت وعرفت الأناقة والنعمة التي كانوا يعيشون فيها . وأما الجدران فقد غطيت بالصور المختلفة التي تبين ملابس الجنود وأزياءهم

ويحرص المتحف على أن يقدم لزائريه صورة واضحة عن المعارك التي اشتبكت فيها جيوش مصر ، ولهذا ترى لوحات كثيرة رسمت عليها خرط تلك المعارك ، فترى مواقف الجنود ونظامهم وكيف سارت المعركة . وأكثر هذه الرسوم هدايا قدمها أمراء العائلة المالكة وغيرهم من رجال مصر تعضيداً للمتحف حتى يحقق برنامجه


مدافع محمد علي
وفي الفناء الداخلي صفت مدافع من عهد محمد علي وعلى رأسها تمثال المنشىء العظيم

قارع الطبل

وقسم الطابق الأعلى على فترات التاريخ المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى الآن كما يضم مجموعة من الأسلحة والطبول التي استولت عليها الجيوش المصرية أثناء حروب السودان ، ومنها طبل استولت عليه البطارية الرابعة في الداورية رقم ٢٧ أثناء تجوالها في دار فور سنة ١٩١٦ ولتكون الصورة أكثر وضوحاً صنع المثال لهذا الطبل قارعاً وقف يضربه فلا تكاد تراه حتى تشعر بأنك أمام محارب سوداني

ويحتفظ المتحف بمجموعة كبيرة من الصور بعضها رسم باليد لتمثيل العصور التي لا سبيل إلى إثبات صورها بالفوتغرافيا كالعصر الإسلامي وعصر محمد علي وعصر إسماعيل وبعضها الآخر — وتقدر صوره بالألوف — عن العصر الحديث وقد التقطت بآلة التصوير لمعاهد الجيش في عهدها الحالي، ومن يشاهدها يأخذ فكرة كاملة عن الجيش المصري في الوقت الحاضر. ويضاف إلى ذلك مجموعة أخرى أعدت لإلقاء المحاضرات بواسطة الفانوس السحري، وتنظم هذه الصور بطريقة علمية دقيقة تيسر للناظر الحصول على معلومات طريفة


ميدان حربي حديث
لا يقتصر اهتمام المتحف بالماضي فهذا ميدان حربي حديث ظهرت فيه الخنادق والمدافع السريعة الطلقات وهي محجوبة عن أعين الطائرات

الزمن خير كفيل

وفي فناء المتحف الداخلي صفت المدافع التي أمكن للمتحف الحصول عليها من عصر محمد علي، وهي مجموعة ثمينة تبين تقدم فن القتال الحربي في ذلك الوقت وأكثرها صنع في مصر وما زالت حتى الآن في حالة جيدة يسهل معها استعمالها . ويوجد في أنحاء القطر المصري كثير من هذه المدافع وخصوصاً في الأسكندرية في القلاع القديمة ، ولكن نقلها وتنظيفها يحتاج إلى زمن طويل ونفقات كثيرة ولهذا ينقلها المتحف شيئاً فشيئاً

ويعتمد المتحف في تنظيمه وتوفير معروضاته على الهدايا التي يقدمها الناس أياً كانت جنسياتهم ومهنهم وعلى المنشآت التي يصنعها عماله، ولكن ضخامة العمل وقلة الأيدي العاملة تقف حجر عثرة في سبيل افتتاح المتحف للجمهور . فرغم النشاط المبذول ورغم كثرة المعروضات لا نستطيع أن نقول إن ما تم إنشاؤه يمثل خمسين قرناً من الزمان ، فمثل هذه المشروعات الضخمة تحتاج إلى عشرات السنين لتظهر أمام الجمهور في ثوب لائق (الشتري)

حــواء

للأستاذ على أحمد باكثير

قلبى يحن إلى عهودك   وإلى رضائك أو صدودك
وإلى محيًّا ساهم   فيه القضاء على عميدك

فيـــه شكاياتى وأحـ   زانى وآلامى ويأسى
وضناى فيـه ووحدتى   من غير آسٍ أو مُوَاسِ

يرثى له قلبى فلا   يرثى لغير مُصَابه ...
فكأنه المــرآة يُبْـ   صر فيــه قلبىَ ما به !

حتّى إذا ما افترّ ثغـ   رُكِ عن ثناياك العِذَاب
وهفا الضياء على لَمَـا   كِ كأنه العسل المُذَاب

وتلألأت عينــاكِ وا   بثق الشُعاع الحــالمُ
خطرَتْ لِى الدنيا بِفيـ   كِ فكل شىء باسم !

خطرت كوجه الأمّ يبـ   ـسم للوليــد الراضعِ
يسرى بعَيْنَيها على   نَهَــر النعيم الواسع !

عَقَلَ ابتسامتَها لأوّل   مرّةٍ فى عُمـــره
فرنا بِطَرْفٍ فيه أوّلُ   خفقـةٍ مِنْ فكره !

عقل الحقيقة كالخيـال   هنـاك فى تلك الدقيقه
ولطالمـا مِنْ قَبْلُ كا   ن له الخيال هو الحقيقه

أو كالوجود بدَتْ لِعَيْـ   نَىْ شــاعرٍ أسرارُه
فى لحظةٍ مِنْ وحيِـهِ انـ   هتكتْ له أســتاره

فكأنه لم يَدْرِ أوْ   يَرَ قبْلها فى الكون شيا
أو كان صخراً مسّه   سرُّ الإله فقام حيّا

يا نظرةً كُنْتُ الوليـ   ـد بها وكنتُ الشاعرا !
والامّ كنت بها وكنْـ   ـتِ بها الوجود السّاحرا

ما كان ثمّةَ غيرُ عيـ   ـن الله ترعانا حنانا
وكأنه مِنْ عَطْفِــه   إذ ذاك لم يخلُقْ سوانا !

يا ليت شعرى هَلْ أحسّ   بمثل ما أحسَسْتُ آدم

لمـا بدوتِ لعينِــه   حوّاءَ فى عهد تقادم ؟
فهفا إليك كما هفوتُ   وما له أمٌّ ســواكِ
فرحمتِـه وجــرتْ على   أطراف جُمّتِـهِ يداكِ !

أخرجتِ آدم مِنْ جنا   ن الخلد لكن كُنتِها له !
أنقذته بهواك من   تلك الســآمة والملاله

فأحسّ فى الدنيا الشقا   ء وكابد الألم الـكبيرا
فازْدادَ بِالسّرّاء والـ   ـنّعماء فى الدنيا شعورا

ما بالُ آدمك الجــديــد تركتِـه فى شِقوته ؟
لم ترحمى بلواه إذْ   أخرجتِـه من جنّته

قد كان يأمل إذ عصى   مولاه فيك مزيد عطفك
ويح الشقىّ ... حرَمْته   مِنْ لطف مولاه ولطفك !

أهبطتِـه من جَنّتَيْـــهِ فهام فى الدنيا شريدا
يبكيك فى المأوى ويبـــكى عهدك المهد السعيدا !

كيف السبيل إلى الرجو   ع إلى نعيمى السّالفِ ؟
وشـــفاء حرّى مهجتى   وسكون قلبى الواجف

وبأىّ وجهٍ بعــد عِصْـ   ـيانِيهِ ألقى وجه ربى ؟
ولئن جَرُؤْتُ فَمَنْ لقلبى   فى عينكِ ... مَنْ لقلبى ؟

أأجيئه مِنْ غير قلبٍ ؟   كيف كيف يكون ذاكِ ؟
ردّيه لى أطلُبْ رضا   هُ حيْنَ لم أدرِك رضاكِ !

حوّاء ذاتَ العدْلِ ! فيم   عَدَلْت إلاّ فىّ وحدى ؟
وعلامَ يا حَوّاء حافظةَ الـ   ـعهود نسيتِ عهــدى ؟

لم تُنْصفينى إذْ بَرَزْ   تِ بآدمٍ وقطعتِ حَبْلى
وهو الّذى ما إنْ حملْـ   ـتِ به ولم تضميه مِثْلِى !

أنا منكِ يا حوّاء ... أجـــدر بالحنان ... وليس منكِ
إن كنتِ منه فتلك بَعــدُ مزيّةٌ تُقصيه عنك ...

إن الحياة تَمُتّ بِنتاً   دأبها وتَبرّ أمّا ...
هـــلاّ سلكتِ سبيلها   فقسمتِ لى بالبؤس نعمى !

أم شئتِ أن تلنى الوجو   د لِتبْدئى فى الخلق طوْرا ؟
لم تَغفرِ الأولى ... أأجْنِى   فيكِ يا حوّاء أخرى ؟!

على احمد باكثير

إلى نجمتى النائية

للأستاذ صالح الحامد العلوى

حنانكِ ! يا نجمتى الزاهرة   ويا نزهةَ القلب والباصره !
ومن لم تَزل رغم طول النوى   على الصبِّ ناهيةً آمره !
ومن غرست فى الحشا دوحةً   من الحبِّ مزهرةً ناضره
ومَن هى من حسنها تحفةٌ   بَرَتْها يد القدرة الباهره !
بروح تكاد لها خفَّةً   تطير مع النَّسمة الخاطره
ومن ساقها الحظُّ لى نعمةً   من الله سابغةً وافرة !
عرفت بها كيف معنى الحنانِ   وما لذّة الخلدِ فى الآخره !

رعى الله وجهاً كساهُ الجمالُ   غدوتِ به فى الورى نادره !
وعيناً من السِّحر مكحولةً   عليها معانى الهوى زاخره
بها قد أرى فيك أمى الحنونَ   وحيناً أرى اللبوة الخادرة
معانٍ من السِّحرِ لا تهتدى   إليها سوى الأعين الشاعره !

ألا حبّذا عهدك المشتهى   ولله أيامكِ الزاهرة !
وتَجْوالُنا بين تلك الرُّبى   وطوراً على الضِّفَّة الساحره
وذاك المراحُ ، وحلو المزاح   وضحكاتنا العذبةُ الطاهرة !
نخبُّ ونطفر بين الحقول   ونضحكُ للموجةِ الساخره
ونشدو ونرقصُ مِلءَ الصِّبا   من اللهو فى نشوةٍ غامره
كأنّا – وقد شبَّ فينا الشباب –   صبيان لم نبلغ العاشره !

شريطٌ لماضىٍّ لا تأتلى   تمدّ الخيالَ به الذاكره
لعهد من اللهو قضّيتُهُ   يفاضلُ أوّله آخرَه
متى ياقضاء ترى عوده ؟   على رغم أيامنا الغادره !

(حضرموت : سيوون)   صالح الحامد العلوى

إليها يوم تنسانى ...!

للأديب محمود السيد شعبان

مِعْزَفٌ فى يدِ السَّنا   يَتَغنَّى على الحِقَبْ !
ألهبَتْ شَدْوَهُ المنَى   ما لهُ ضلَّ فانتحبْ ؟ !
أنتِ لقَنْتِهِ الهوَى   قُبْلةً كنتِ طُهْرَهَا
فاسْكُبى فى فؤادِهِ   من معانيكِ سحرَهَا
وَامْرحى فيهِ ... طالما   مَسَّهُ الحبُّ فالتهبْ !
أنتِ دنيا خيالهِ   ليتهُ كان سِرَّها

أنتِ فى موكبِ الجما   لِ نعيمٌ هو التَّرَف ...
أبدعتْه يَدُ الجنو   نِ وزانتهُ بالسَّرَفْ !
أنتِ سِرُّ الحياةِ فى   باطن الكونِ قدْ خفَق !
أنتِ فجرُ الوجودِ من   كل قلبٍ هوى انْبَثَق !
كذَبَ الشِّعرُ !... إنما   أنتِ فوق الذى وَصَفْ !
نخذبنى إليكِ ... لمْ   يَبْقَ منى سوى رَمَق !

أنتِ معنًى منَ الخلو   دِ وعى صفحةَ الأزَلْ !
وشعاعٌ من الحيا   ةِ حوَى الحبَّ والأمل
يا ابنةَ النور !... بدِّدى   ما بقلبى من الرِّيَبْ !
واسكبى فى فمِ الضيا   ءِ الذى ضلّلَ الحِقَب !
واغْمُرى الروحَ باللهيـ   ـب لِتحيا على وَجَلْ !
قَلَقُ الحبِّ ... ما ألذّ (م) وَأحلَى لمَنْ أحب .. !

إيهِ يا حُبَّها !... أفِقْ !   قد عرفنا بكَ الخَبَل !
ورشفنا الجنونَ لمَّا (م) استبدّتْ بنا القُبَل !
همْ يُسمُّونكَ الهوى   أنتَ يا حُبَّها القدَر !
فترفقْ بنا ... فما   نحن إلاّ من البَشَر !
إيه يا قلبُ !... دعْ دَمِى   فيكَ يَنسابُ بالأمل ...
واشربِ الحسنَ والسَّنا !   هكذا حُبُّها أمَر !

يا جُنونَ الهوى ! عشقْـ   ـتُكَ جهدى .. فكن معى !
واطْوِ فيما طويْتَ قلـ   ـبى وعقلى ومسْمَعِى !
أنت فى هيكل الخلو   دِ صلاةٌ لمن عَبَدْ !
أزَلُ الدّهر يلتقى   فيكَ يا حُبُّ بالأبَد ! !
فامْلأْ النفسَ بالرَّجا   ءِ وعِشْ بين أضلُعى
أنت روحى ... وإنما   أنا يا فِتْنَتِى جَسَد !

يا خيالى ! ادَّخِر منى   للمُنى كلَّ ما فَتَن !
لا تسلْنى : متى غدِى ؟ !   كيف يحيا هُنا الزّمن ؟ !
يا خيالى ... أفِقْ وخُذْ   من رُؤى الحبِّ ما سَحر !
لا تقل لى : صِف الهوى !   ها هنا لا يرى البَصرْ !
إيهِ يا مُلْهِمَ النُّهى   كلّ ما يبعثُ الشَّجَن ...
اكشفْ السِّتر عن غدى !   إنه فى دمى استتر ! !



دراسات فى الفن

عن فن الصوم

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ليس الصوم تجويع البطن وحرمانه من حشوها، وإنما الصوم زهد فى حاجات البدن يقصد لذاته ، ويقصد لأثره . فهو نفسه انتصار لذيذ على قانون الحاجة والضعف ، وهو بعد ذلك يبعث فى الصائم إيماناً بإمكان التدرج بالطبع فى مدارج الرقى ، وإغراء بالوثوب إلى حياة الإرادة والعقل . وفى ذلك ارتفاع بإنسانية الصائم إلى درجة من النقاء الروحى لا تتاح لغير البشر من المخلوقات التى تنساق لقوانين المادة وتخضع لمطالب الأجسام فلا تملك لها رداً إلا إذا أجبرت فى ذلك إجباراً وقهرت عليه قهراً . فهى فى كل من الحالين مسوقة مسيرة مشدودة ، بأسباب الاتصال ودواعيه ، إلى أحوال وأوضاع لا دخل لإرادتها فى إعدادها ولا ترتيبها ، ولا توجيهها . هذا إلى ما فى الصوم من تيسير التفرد ، وتقريب الوحدانية ، واستشمار الغنى . فكلما لوّن الصائم الزهدَ وقَلل من حاجاته البدنية أحس حدود كيانه تتميز وتفصله عما عداه ، وأدرك أنه واحد ، وإن كان صغيراً فإنه نزاع إلى أن يقوم بذاته ، وأن تفيض نفسه بالحياة على نفسه فهو لا يطلبها — إلا قليلاً — فى لقمة من الخبز أو جرعة من الماء

ومع الإحساس بهذا الاستقلال عن مادة الحياة فإن الصوم يبعث فى نفس الصائم إحساساً آخر من الشيوع يشبه ذلك الإحساس الذى يشعر به النهم الأكول الجشع المستغرق فى طلب الماديات ، ولكن شعور الصائم لا يتجه به إلى الماديات ، فهو منقطع عنها جهده ، وإنما هو يتجه به إلى ما يتعاطاه ويلج فيه مما هو فوق المادة ، فهذا هو ما يفطر عليه ما يغذى نفسه به ، وكما أن النهم الأكول الجشع المستغرق فى طلب الماديات يشعر بأنه مرتبط بالعجل لأن لحم العجل لذيذ ، ولأن جلده مفيد ، ولأن قرنيه نافعان ، ولأن حوافره تصلح فى شأن ما أو فى عدة شئون ، فإن الآخر الصائم يرى فى العجل غير ما يراه ذلك الذى يفكر ببطنه وجلده وسائر

أيها الشّعر ! ... أحيِنى ! أنتَ مِن وحيها مدَد !
شع ٌ فى الكونِ نورُها من قديم ٍ وما نفَد !
أيها الشِّعر ! ... غنِّنى ! وارو ِ رُوحى بسحرِها !
واسكُب الطُّهر فى دَمى ! إنه بعضُ سِرِّها !
هاتِها فتنةَ النُّهى ! هاتِها نشوَةَ الأَبَد !
هى دنيا خـــواطرى وتسابيحُ طُهرِها !

أيها الشِّعرُ ... هِجْتَ فى باطِنى كامِنَ الذّكَر !
عادَنى فيكَ حُبُّهــا فالْتَقَيْنا على قدَر !
فكأنى بهـــا مَعِى تسمعُ الشِّعرَ مِن فمى !
وكأنى بصوتِهــا الطُّـ (م) ـهرِ يَنْسابُ فى دمِى !
لَيْتَ هـــذا حقيقةً يَجْتَلِيها هُنا البَصر !
إنه الُحبُّ ... بَيْنَ أحْـ ضانِهِ الكوْنُ يَرتَمى !

أيها الشِّعْرُ ! ... هاتِها مُتْعةً تبعثُ الطَّرَب !
وادّخِرْنِى إلى غَـــدٍ سوف آتيكَ بالعجَب !
أنتَ يا شِــعر خالدٌ لستَ يا شعرُ للعَدَم
لا تَكِلْنِى إلى الأسى ! زِلْتُ زادِى من الألمْ !
وأسقِنِى النورَ جُرْعةً هىَ أُنشودَةُ الِحقَب !
وَقّعَتها على القُلُو بِ يَدُ الُحسن من قِدَم !

(القاهرة) محمود السيد شعبان

جوارح بدنه ، ويرتبط إليه برباط آخر معنوى ، فهو عنده رمز لقوة البدن مع طيبة القلب ، واستسلام النفس مع تناوم العقل ، فإذا آلفه فإنما يؤالفه ليتملى منه هذه الطباع وليستخرج من تركيب بعضها إلى بعض عبرة تدله على عجز القوة ما لم يسندها الفكر ، ومهانة الاستسلام ما لم تدركه اليقظة . وهكذا يصبح العجل الحيوان الواحد ذا طائفتين اثنتين مختلفتين من الدلائل والمعانى يدرك طائفة منها إنسان زهد فى المادة وصام عنها ، ويدرك الطائفة الأخرى إنسان زهد فيما فوق المادة وصام عنه

وليس العجل وحده هو ما يراه الإنسان ويتصل به فى هذه الحياة ، وإنما هو يرى كائنات كثيرة ومخلوقات عدة ويتصل بها جميعاً وفق نزعته ، وإنما سقت العجل مثلاً لأن له قصة طويلة قديمة مع البشر ، فكما أذله ناس وقره آخرون ، وكما استضعفه ناس عبده آخرون

ولست أريد أن أنحاز إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، فقد كان لكل رأى وكان لكل رأى برهان ، وإنما أريد أن يلتفت القارئ معى إلى صلاح العجل عند البشر للاهانة والعبادة معاً ، لا لشىء إلا لأن فريقاً من الناس رأوه رأياً ، وفريقاً آخر رأوه رأياً ، وهؤلاء مضوا فى رأيهم حتى نهايته ، وهؤلاء أيضاً مضوا فى رأيهم حتى نهايته ، فكانت نهاية أصحاب الرأى الأول أن أكلوه ، وكانت نهاية أصحاب الرأى الثانى أن قالوا إنه الله ... وهكذا كل ما فى الحياة يستطيع الإنسان أن يأكله ، ويستطيع أن يرى فيه الله ... أو أن يصل من سبيله إلى الله ... لو هداه

ولندع العجل إلى غيره من الخلائق وآيات الله لنرى أن الناس دائماً ينقسمون أمام مظاهر الحياة إلى قسمين واضحين : قسم يزهد فى كل شىء ما عدا الملموس المحسوس الذى له أثر ملموس محسوس ، وقسم آخر يزهد فى هذا الملموس المحسوس نفسه فلا يصيب منه إلا بمقدار ما يمسك عليه الرمق وما يحفظ عليه الحياة . وهناك — إلى جانب هذين الفريقين من الناس — قسم ثالث يتراوح بينهما فيجول مع كل فريق جولة ، له فيما فوق المادة ساعات يقضيها مع نفسه ثم يعود إلى الناس فينقل إليهم ما رأى وما سمع وما أحس وما علم . وهؤلاء هم أهل الفن الذين نعرفهم من فنونهم ، والذين يقول عنهم أهل الأرض إنهم أصحاب خيال وإنهم فى خيالهم يمعنون بعيدين عن حقيقة الحياة ، لا لشىء إلا أن أهل الأرض يعتبرون الحياة هى هذه الماديات وحدها ، فما لم ينطبق عليها تمام الانطباق فهو خيال ووهم

ولست أريد أن أظل مع هؤلاء المتراوحين طويلاً الآن ، وإنما أتركهم إلى أولئك الذين أعطوا الأغلب من أرواحهم لما حجبته المادة الكثيفة عن أغلب الأبصار والأسماع ... أولئك يحيون ، وإن لهم دنيا طويلة عريضة كهذه السموات والأرض ، بل إنها أوسع من السموات والأرض ، وهم يكشفون مجاهلها يوماً بعد يوم ، ويغزون أطرافها ما صفت أرواحهم ، وما اتجهت عقولهم بالتفكير فى أسرار الوجود ، فإذا هم فى حياة أساسها فى هذه الدنيا ولكن مهادها ووديانها عليون ، وإذا هم يشعرون بعلاقات وثيقة تربطهم بكل ما فى الكون من حقائق وموجودات ، بل إنهم يحسون أن لهم منافع روحية وفوائد معنوية يصيبونها فى الحقائق والمخلوقات كتلك المنافع التى يرجوها النهم الأكول فى لحم العجل وجلده وقرنيه وحوافره ، وهم ملحون وراء هذا الذى يستطيبون من الكسب كلما حصلوا منه ربحاً استزادوا الربح بالجهد والمران ، فإذا هى أرباح فوق أرباح ، وإذا بالفقير المعدم منهم له ثروة عجب من المعلومات والمدركات ، فإذا أراد أن يستغل علمه وإدراكه وأن يخرج بهما من دائرة التحصيل والإفادة ، إلى دائرة العمل والإنتاج كان الشىء الذى يصنعه خارقاً لا يستقيم مع طبائع الحياة التى تعارفها أهل المادة من الناس ، وإن استقام مع طبيعة الوجود العامة التى لا يحلق إليها إلا أندر الناس الذين يشرئبون دون عشرائهم إلى ما أباحه الله للمقبلين عليه من خلقه السباقين فى التقدم إليه والارتقاء إلى رضاه بإرضائه . وتقول الجماهير عندما ترى أعمال هؤلاء إنهم سحرة ... أو إنهم أصحاب معجزات .

وهذه الأعمال الإيجابية التى يقوم بها هذا الفريق من الناس تختلف وتتعدد مظاهرها وألوانها باختلاف اتجاهاتهم وما يتخصصون فيه من العلم ، وليس تخصصهم فى العلم شيئاً غريباً ، فعلماء المادة يتخصصون هم أيضاً فى دراسة نواحيها ... لكل منهم ناحية .. فمنهم مهندسون ، ومنهم أطباء ، ومنهم من ينفقون حياتهم فى دراسة القوانين التى كتف الناس بها الحياة ، كذلك أولئك منهم من يتجه إلى نفسه فيدخل فيها فيعلم من شؤونها ما يعلّمه الله إياه ، ومنهم من يدخل فى نفوس الناس ، ومنهم من يدخل فى نفوس الناس والحيوان . . . بل إن منهم من يتجه إلى المادة

نفسها فيغزوها بالروح غزواً فينشق البحر ويقلب العصا إلى حية والحبل إلى ثعبان ! . .

ويضطرب الناس ويرتبكون حيال هؤلاء الزهاد الأنبياء ... فيقولون إن محمداً صلوات الله عليه ورضاه كان شاعراً ... لأنهم كانوا يسمعونه يقول كلاماً لا يشبه كلام الناس ، وفيه ملامح من كلام الشعراء ، هي هذا البعد عن مادة الأرض المعتمة العمياء ، وهي هذا النور الذي أهداه الله إليه من نور السماء ... وما كان محمد شاعراً ، وما كان الشعر ليتسامى إلى درجة ما أفاض به على الناس ، وما كان كلامه فناً من فنون الأرض ، وإنما هو أرفع ما أتاحه الله لإنسان من علم حق ومن حكمة خالدة تنسحب إلى أبعد الأزل ، وتنطلق إلى أبعد الأبد سبحان من أوحاه ! وسبحان من جاد على البشر بمثله ... هو الله ! ...

لم يكن محمد شاعراً ، فالشاعر كما رأيناه يتراوح بين حياة الأرض وحياة السماء ، ويتذبذب بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، ولا يقر له قرار إلا بين الناس ، ولا يغيب عنهم إلا لمحات قصيرة عابرة لا يطيق استدامتها ، لضعفه ولشعوره بالحاجة البدنية إلى ما في الأرض من راحة ... أما محمد ، وأمثال محمد من الأنبياء فإنهم قد اشتروا الآخرة بالدنيا ، وليس لهم في الدنيا مطمع ، فقد أحاطوا بما فيها علماً ، وهم يتجهون بعد ذلك بأطماعهم إلى ما وراء هذه الحياة ... وهم مؤمنون بأن هناك شيئاً بعد هذه الحياة ، لأنه قد كان هناك شيء قبل هذه الحياة ؛ وليس في هذا الطور ما يدل على أنه الحلقة الأخيرة من حلقات التطور والارتقاء ...

وهنا قد يسائلنا سائل : كيف قال محمد إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وما دامت طبيعة الحياة قد استدعت بعث الرسل والأنبياء فيما مضى ، وما دامت بريئة مما يدل على أنها قد كفّت عن نهجها والتوت إلى نهج جديد ؟

وجوابنا على هذا أن محمداً صلى الله عليه وسلم وضع أمام عيون الناس القواعد الخالدة لهذه الحياة ... القواعد التي تتغير الدنيا ولا تتغير هي ، والتي تتطور الحياة وترتقي وتمتنع هي على التطور والارتقاء لأنها نهاية النهايات ، ولأنها الحقائق الثابتة التي يقوم عليها التغيير والتبديل ، ولأنها المحاور التي يدور حولها التطور والارتقاء .

فلقد جاء في دين محمد أن الإسلام هو دين الفطرة ، فإذا عرفنا علام نحن مفطورون فسايرنا فطرتنا فإننا مسلمون . وهذا مبدأ لا يمكن أن يزول وإنما يتحطم كل من يناوئه ويعصيه ... وإن من فطرتنا أن نتطور وأن نرقى . وقد جاء في دين محمد بين آيات القرآن « أحلت لكم الطيبات وحرمت عليكم الخبائث » فإذا عرفنا ما هي الطيبات التي تنفعنا ، وما هي الخبائث التي تضرنا ، وأخذنا ما ينفع وتركنا ما يضر فإننا مسلمون سالمون . وهذا مبدأ تتبعه الكائنات بطبيعتها فتسلم ، وعلينا نحن ألا نقاومه بعقولنا وإرادتنا كي ننجو ، وإلا فالهلاك لمن أحل لنفسه الخبائث ، وحرم عليها الطيبات ... وقد جاء أيضاً في دين محمد بين آيات القرآن كذلك : « وما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فمن أنفسكم » ومعنى هذا أننا إذا ألقينا أنفسنا بين يدى الله وأطعنا أمره ، وهو يأمرنا بالتزام فطرتنا والخضوع للقوانين الطبيعية التي انتهت بنا اليوم إلى هذا الطور من أطوار الحياة والتي تسير بنا منذ اليوم إلى أطوار وأطوار فإننا إذن مسلمون سالمون ، فإذا حدثتنا أنفسنا بغير ذلك فاتبعناها وخيلت لنا الأهواء أن في الرضا شراً أو ضعفاً أو عجزاً وحاولنا أن نكسب لأنفسنا ما يثقل علينا وما لا حق لنا فيه وما ننوء بحمله وما يربكنا تصريفه ؛ فإننا عندئذ مضطربون قد وضعنا أنفسنا حيث لا يمكننا أن نظل طويلاً ... فلا عجب إذا انهزمنا سريعاً

علينا أن نعرف ماذا كنا ... وماذا نحن ... وماذا سنكون ... حتى لا نخطىء الطريق إلى ما نحن صائرون إليه ... ولنعلم أن فينا اليوم من طبائع الماضي مالا يصلح للمستقبل ... وهذا ما علينا أن نقاومه وأن نتخلص منه ... وقد قيل إننا كنا في الماضي قردة ... فعلينا أن نخلص إذن من أوجه الشبه بيننا وبين القرود ... وإلا فنحن نعرقل فطرتنا ...

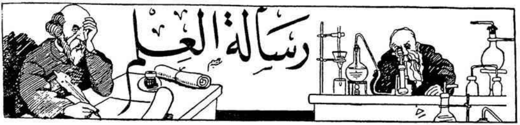
هذه هي بعض مظاهر الخلود والصلاح الدائم في الإسلام ، وهذه هي نهاية النهايات التي وصل إليها محمد تبارك من هداه ، فله الحق — على هذا — أن يقول إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، لأن أحداً لن يجيء بعده بتلخيص لسر الوجود أعمق من هذا التلخيص ولا أمكن إصابة منه .. وما أدناها حقيقة ، وما أبعدها منالاً ! . .

فهل يعرف أحد إلام نحن صائرون ؟ إننا صائرون إلى حياة

خالصة من هذه الأبدان التى يصيبها العطب ... إننا صائرون إلى لقاء الله ، وإن فى نفوسنا ما يسير بنا إلى هذا ، فعلينا أن نتعرفه وأن ننميه ...

نفوسنا حشد من الغرائز ، فما تشبث منها بالحال الراهنة وأعرض عما هو مقبل من حياة الخلوص كان كما يريد أن يعود بنا إلى حياة القرود . وكان تعطيلاً لإرادة الإنسان القادر — بقوة الله — على تنقية نفسه وترقيتها . وما تحرر منها وانطلق إلى الله فهو عون الإنسان على توحده ، وعلى شيوع نفسه فى نفوس الخلائق ، والاتجاه مع الكائنات فى صلاة الجماعة لفاطر السموات والأرض المهيمن العلام الأول والآخر .

عزيز أحمد فهمى



لحظات الالهام فى تاريخ العلم

بقلم مريون فلونس لانسنغ

ثناء على علبة الصفيح

الصفيح خادم متواضع للانسانية ، فنحن نتلف العلبة بعد فتحها ونلق بها دون أى احترام ودون أن يكون فى أنفسنا لها موضع للشكر على الخدمة التى أدتها . ولكن نابليون لشدة شغفه بالحصول على مادة تؤدى إلى حد قليل مثل الخدمة التى تؤديها اليوم علبة الصفيح ، قد عرض هو والحكومة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ أو ما حولها جائزة قدرها ١٢٠٠٠ ألف فرنك لمن يخترع وعاء يمكن حفظ الطعام فيه من التلف فى زمن الحرب

إن تعاقب مواعيد الغراس والحصاد التى عرفها آباؤنا الأولون كان نعمة عظيمة على الإنسان . ولكنه من جهة أخرى يفرض عليه واجبات معينة ويلزمه عناية خاصة ، فالرجل الذى يعيش فى المناطق المعتدلة لا يستطيع أن يجعل مائدته مبسوطة على الدوام على الرغم من كل جهوده الزراعية

يجب أن يكون لديه خبزه كل يوم ولكن الثمار والمحاصيل لا تخرجها الأرض يومياً بل فى مواعيد معينة . وكما يختزن السنجاب البندق فى ثقب بجذع الشجرة انتظاراً للوقت الذى تخلو فيه الفروع من ثمرها فكذلك يجب أن يختزن الإنسان من نتاج الموسم ما يكفى احتياجاته بقية فصول العام المجدبة

وكان تجفيف الطعام من أقدم الوسائل للاحتفاظ به . وقد وجد الفريق الأقدم من المستعمرين الأمريكيين جماعة الهنود يتبعون نظاماً لتجفيف القمح والسمك والفواكه واللحوم بحفظها من العطب مدة طويلة. وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام هى تثليجه ، ولكن هذه الوسيلة لا تمكن مزاولتها إلا فى الأجواء التى يمكن فيها ترك الطعام فى الماء البارد والثلج أو فى أنابيب فى أعماق الأرض

وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام مناقضة للوسيلة الأخيرة وهى حفظه بواسطة الحرارة . ووجد الطباخون فى العصور القديمة أن اللحم المطبوخ يبقى مدة أطول من اللحم النيء فوصلوا بهذا الاستكشاف إلى أول حلقة من سلسلة الاستكشافات التى انتهت اليوم إلى حفظ المجففات فى علب الصفيح

إن سر نجاح الحفظ فى تلك العلب هو أن الطعام يمنع فيها عن التعرض للهواء منعاً محكماً . وفائدة منع الطعام عن الهواء ليست بالاستكشاف الحديث فقد وجدت فى جزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط آثار قصر قديم يرجع عهده إلى ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح ووجد فى حجرات باردة تحت أرضه أوان كبيرة من الطين يختزن فيها الطعام ويمنع عن الهواء

ولكن الذكاء والنجاح اللذين ظهرا في حفظ الطعام بعلب الصفيح لم يكونا قبل الحروب النابليونية في فرنسا حتى رأت الحكومة – والحكومات بطيئة دائماً في بذل الأموال للاختراعات المشكوك في نفعها للجماهير – أنه من المجدي بذل جائزة للوسيلة الناجحة في حفظ المأكولات بالتخزين

وكان مبلغ اثني عشر ألف فرنك مبلغاً عظيما في ذلك العهد من القرن الثامن عشر . وقد تسابق صناع الحلوى وصناع الجعة وأصحاب معامل التقطير بنشاط وجد علهم يحصلون على هذه الجائزة، وقد نالها بعد اثني عشر أو خمسة عشر عاماً رجل اسمه فرانسوا إيبرت وهو صانع حلوى، وقد قضى كل حياته في حل هذه المسألة

وربما كان ما يشاع عن جهود إيبرت هو الذي حمل نابليون ومستشاريه على التفكير في قيمة المشروع الذي يمكن به النجاح في حفظ الطعام ، وعلى كل حال فقد عرضت الجائزة واستمر إيبرت يزاول عمله في صبر حتى كان عام ١٨١٠ فتقدم بالدليل على نجاحه ونال الجائزة

وحتى مع حصوله عليها فقد أنفقها كلها على اختراعه مجرباً أساليب أحسن من التي عالجها من قبل ، إلى أن مات في فاقة وهو يشكو قلة التشجيع بعد بضع سنين ، وذلك على الرغم مما كان يبدو من أن مبلغ الاثني عشر ألف فرنك مبلغ كبير

ومن حسن حظنا نحن الذين انتفعنا بنجاحه أن الحكومة الفرنسية نشرت له في الوقت الذي عرضت فيه الجائزة كتاباً يوضح على وجه التفصيل تجاريبه ونتائجها ، فأمكن بذلك أن نعرف عن تجاريبه أكثر مما نعرف في العادة عن التجاريب السابقة

وتبين أنها تجاريب مماثلة تمام المماثلة للمشاريع المعظيمة التي اتسعت في القرن العشرين لحفظ البضائع وإرسالها إلى أرجاء الأرض وحفظها إن دعت الحاجة عدة أشهر أو سنين

لم يكن لدى فرنسوا إيبرت علب ملائمة ليضع فيها بضائعه . فكان يضع كل أنواع مصنوعاته في علب من الزجاج أو الفخار ثم يحكم غطاءها ويضع العلب في ماء يكفي لتغطيتها ثم يضع الوعاء الكبير الذي به الماء وفيه العلب فوق نار حتى يسخن إلى أن يصل إلى درجة الغليان . ويتركها بعد ذلك في هذا الوعاء أوقاتاً تختلف قلة وكثرة ثم يسد الزجاجات ويختمها في أثناء حرارتها

وربما بدا لك أنه ليس في هذا ما هو جديد أو غريب يستحق أن ينال الرجل بسببه جائزة بل يصنع هذا في كل مطبخ أيام الخريف عند ظهور الفواكه الجديدة لحفظها في الشتاء . والواقع أنه ليس في هذا الأمر ما يعد اليوم جديداً ولا غريباً وإنما ذلك لأن الفكرة شاعت وأصبحت مقبولة . ولكننا الآن في القرن العشرين وهذا العالم الفرنسي كان يشتغل في معمله سنة ١٨٠٠ وبسبب جهده وصبره في العمل أصبح استكشافه سهلاً وأصبح يؤدي في مطابخنا كأنه أمر طبيعي . وكانت التجاريب تتقاضاه وقتاً طويلاً لأنه كان لا بد من تجريب درجات مختلفة للحرارة وأساليب متباينة للصنع . وكان لا بد كذلك من بقاء الزجاجات مغلقة عدة أشهر أو عدة سنين ليتضح مبلغ النجاح في كل تجربة . وقد قضى إيبرت اثني عشر عاماً حتى عرف خير الوسائل لمعرفة المدد التي يقتضيها كل طعام على الحرارة ليكون عند استخراجه من الوعاء في مثل عذوبته وصلاحيته عند وضعه فيه

وقد رأى إيبرت أن نجاح تجاريبه يتوقف على إخراج الهواء إخراجاً تاماً ، وقد رأى كما كان يرى العلماء في عصره أن الهواء يحدث عطباً في الفواكه والخضر وكانت وسائله صحيحة ، ولكن مضى خمسون عاماً أخرى قبل أن يستكشف العالم الفرنسي الشهير لويس باستور ذلك الاستكشاف المميز لعصره وهو أن الفساد لا يحدثه الهواء بل الميكروبات التي تعيش في الهواء

كان إيبرت يجري تجاريبه على الطريقة الصحيحة الوحيدة ولكنه كان يخطئ في تفسيرها وكانت النتيجة واحدة لأن التجربة نجحت وحفظ الطعام

ولكن العالم الكبير باستور بشرحه القانون المسيطر على نماء البكتريا والميكروبات قد أحدث ثورة في علوم الطب وبدأ عهداً جديداً في حفظ الطعام بطريقة علمية مجدية ، وهذه الطريقة كان إيبرت هو المبشر بها

ولعله ليس في تاريخ الإنسانية يوم أعظم من اليوم الذي بيّن فيه باستور أن التغيرات التي تطرأ على المواد الغذائية عند تعريضها للهواء إنما هي نتيجة لعمل أحياء بكتيرية صغيرة ، فإذا ما أزيلت هذه الأحياء بواسطة الحرارة وأزيل الهواء في الوقت نفسه فإن

الطعام لا يفسد إلا عند ما يتعرض للهواء مرة أخرى فيتعرض لهذه الأحياء. وقد نال باستور جائزة على استكشافه هذا فى فرنسا سنة ١٨٦٠ — على أننا لم نبدأ إلا الآن فقط فى فهم ضخامة التغير الذى أحدثه استكشاف باستور فى المعارف الإنسانية وفى أساليب الحياة بتطهير اللبن وبتعقيم الأدوات الجراحية. ومن الممتع أن نلاحظ أن الأرجح أن ينشأ فى وقت واحد اختراعان يساعد أحدهما على نجاح الآخر، ففى الوقت الذى كان فيه إيبرت جاداً فى صنع الأوانى من الزجاج والفخار كان فى انكلترا ميكانيكى اسمه بطرس دوراند يصنع أول ما عرف من علب الصفيح، وقد عرض علبته الأولى فى سنة ١٨٠٧ وكانت عملاً غير متقن فهى ثقيلة الوزن مصنوعة باليد، وكان لها غطاء ضخم قبيح الشكل ولكنها كانت على كل حال علبة من الصفيح

واحتكر رجل انكليزى طريقة إيبرت بعد عام من ظهورها فى فرنسا. وأنشئ أول مصنع لتخزين الأطعمة فى العلب بانكلترا وكانت شركة أمريكية هى التى تقوم بهذا العمل، وربما كانت الحكمة فى اختيار انكلترا لهذه الصناعة هى نشوء صناعة الصفيح فيها، وسرعان ما انتقلت الصناعتان إلى الولايات المتحدة

وفى سنة ١٨٩١ أنشأ إزرا داجوت وتوماس كنست فى نيويورك صناعة لحفظ سمك السلمون وبرغوث البحر والكابوريا فى علب الصفيح، وكلا الرجلين متعلم فى انكلترا

وفى العام التالى أنشأ رجلان آخران هما اندر و ود تيشل فى بوستون صناعة حفظ الفواكه فى العلب الصفيح وقد استعملا فى إعلاناتهما كلمة هى التى اشتقت منها الكلمة الإنكليزية «علبة» وأصبحت صناعة العلب من الصناعات الكبرى فى الولايات المتحدة

وليس ثناؤنا على اختراع العلب الصفيح من أجل أهمية هذه الصناعة من الوجهة التجارية وإن كانت العلبة ومحتوياتها جديرين بوضعهما فى قائمة الاستكشافات الهامة، بل لأن أثرهما فى حياة الإنسان أثر بعيد مميز للعصر

كان الإنسان من عهد قديم يعتمد على الأطعمة المحلية والموسمية وكانت حركاته محدودة من أجل هذا السبب. كان لا يستطيع الإقامة إلا فى المناطق التى توجد فيها بصفة مستمرة أنواع حاجاته المختلفة من الطعام اللائم لصحته. وكان لا يستطيع السفر والاستكشاف إلا إلى المدى الذى يؤهل له ما لديه من الطعام

وكان لا يمكن أن تتسع المدن إلا إلى الحد الذى تؤهل له طاقة الأراضى الزراعية المحيطة بها على إخراج نبات يكفى للطعام، وقد توافرت الآن كل هذه الشروط وكان لها أثر كبير فى حياة الإنسان.

ولكن العلم الذى أذاعه باستور والتجارب العملية التى أجراها أبيرت والحذق الميكانيكى الشائع الآن — لكن كل ذلك مجتمعاً قد أدى إلى إنتاج مقادير عظيمة من علب الصفيح رخيصة الثمن تتسع لمقادير هائلة من الأطعمة فأصبحت حركة الإنسان سهلة بعيدة المدى

كان نابليون يرى أنه سوف يستطيع التغلب على العالم على صورة نهائية وأن يتولى إدارته لو وثق من أن جيشه يستطيع الحصول على الغذاء وهو فى ميادين بعيدة عن وطنه

وكانت رحلات كولومب محدودة بمقدار الطعام الذى يستطيع حمله فى سفينته وكان المستكشفون فى رحلاتهم الأولى يخفقون لأن رجالهم كانوا يمرضون إن لم يحصلوا على طعام طازج

اقرأ سير الرحلات الأولى تر أن الرجال كانوا يموتون بداء الأسخربوط ولكن المستكشفين المصريين بيرى وامندسون وسكوت قد استطاعوا تحقيق حلم الإنسانية منذ قرون فى الوصول إلى القطبين لأنهم كانوا يحملون أطعمة مضغوطة فى علب مختومة تكفيهم إلى نهاية الرحلة

وقد قيل إن حفظ الأطعمة فى العلب هو أكبر الاختراعات أهمية بعد اختراع البخار من حيث تمكين الناس من إنشاء المدن الكبيرة وتسهيل المواصلات إلى أبعد مناطقها المختلفة بتزويد السفن بالطعام المحفوظ

فهل تشترك معنا فى الثناء على خادم الإنسانية المتواضع: علبة الصفيح؟ (يتبع) ع. ا

من هنا ومن هناك

البترول يكسب الحرب

[عن «وتتورث داى»]

سوف يكون للبترول الشأن الأول فى كسب الحرب. فبالبترول تدار الطائرات وتسير المدرعات وتعمل البنادق وتحرك السيارات وتسير الغواصات

ومن المعروف أن البواخر الحربية العظمى جميعها تتخذ وقودها من زيت البترول. وقد أصبح للأمبراطورية البريطانية مراكز ذات أهمية كبيرة للبترول تمتد إلى شواطىء الإمبراطورية وموانيها المختلفة فى جميع أنحاء العالم، حتى أصبح عددها الآن يفوق عدد مراكز الفحم التى للإمبراطورية

وتسيطر بريطانيا الآن على أكبر مقدار من البترول الذى يستخرجه العالم. وقد بلغ ما تستهلكه من هذه المادة فى الأغراض التجارية أيام السلم ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ طن، وهى لا تجد صعوبة فى الحصول على هذا المقدار

ويبلغ ما تستهلكه ألمانيا وقت السلم ٧ر٠٠٠ر٠٠٠ طن فى العام، وهى تستطيع أن تستخرج ثلث هذا المقدار، فإذا أضفنا إليها ما يستخرج من اسبريا وما تستطيع أن تحضره بالطرق العلمية وجدنا أن هذا جميعه لا يكفى لتقديم ما تتطلبه فى أوقات السلم بحال من الأحوال. فكل ما تستطيع ألمانيا الحصول عليه من هذه المادة الأساسية فى حياة الأمم، لا يتجاوز ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ يدخل فى ذلك البترول الصناعى والبنزول وغاز السيارات. وتستورد ألمانيا باقى حاجتها من أميركا وجزائر الهند الهولاندية ورومانيا

ومن الواجب فى هذا الصدد ألا نبالغ فى تقدير البترول الذى تستخرجه رومانيا، فليس له فى الحقيقة الأهمية التى يتصورها رجل الشارع. فكل ما تستخرجه رومانيا لا يزيد على ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ طن من البترول الخام، وهذا المقدار لا يكفى حاجات ألمانيا أيام الحرب، هذا إذا استطاعت الاستيلاء على منابع البترول فى رومانيا، والإشراف عليها جميعها. وقد أخفقت فى هذه المحاولة إبان الحرب العظمى. وعلينا أن نذكر هنا أن البترول الذى يصدر من رومانيا إلى ألمانيا، يجب أن يتخذ طريق الدانوب أو طريق البحر ماراً بمضيق جبل طارق، وكلا الطريقين تحت إشراف البنادق البريطانية. وإذا كانت بريطانيا تستورد حاجتها من البترول عن طريق البحر، فليس فى ذلك أى ضير ما دامت تسيطر على البحار. فإذا أصبح طريق البحر الأبيض المتوسط معرضاً للأخطار أيام الحرب، فأمامها أكثر من طريق واحد لتوصيل البترول إليها. فعلى الرجل الذى يحلم بالانتصار على الامبراطورية البريطانية أن يعلم حق العلم أن الحرب لا يمكن أن تستمر بغير بترول، ولكنها تنتهى لأجل البترول

الصحافة السرية فى ألمانيا

[عن «P. T. O.»]

تنتشر الصحافة السرية فى ألمانيا بطريقة منظمة محكمة تيسر للملايين من الألمان الاطلاع على آراء كتابها الأحرار داخل بلادها وخارجها. وقد ذهبت سدى كل المجهودات التى بذلت لوقف تيار هذه الصحف التى تنتشر بين الجنود وفى المصانع والمساكن تحت أسماء وعناوين مختلفة. وقد حاول هتلر منذ ست سنوات أن يكتشف طريقة لوقف هذه الحملة الشديدة المحكمة النظام التى يقوم بها بعض أبناء ألمانيا لإنقاذ نفوس الملايين الذين لم تفسد بعد قلوبهم ورءوسهم بتعاليم النازى السخيفة، فذهبت جهوده فى مهب الرياح. وقد عملت التدابير المحكمة لنشر تلك الآراء المعادية لحزب النازى، واتخذت لها أعواناً وأستاراً ممن يلبسون اللباس النازى ويسيرون فى صفوف المؤيدين. وتنتشر الصحافة السرية فى المصانع والمصالح الحكومية وبين جنود الجيش، ويتلهف الكثيرون على تلاوتها على الرغم مما فى ذلك من المخاطرة بالحياة.

وكثيراً ما توجد هذه الصحف فى علب الشاى والبسكويت وغيرها من هذه الأنواع البعيدة عن الظنة والشبه، ويدبج مقالاتها الطريفة كتاب فحول من أمثال: توماس مان وجورج برنهارد وهنريك مان وغيرهم. وفيما يلى فذلكة مما ينشر بتلك الصحف: فى الأمم الديمقراطية تشتد الخلافات وتتضارب الآراء بين

الأحزاب حتى يهتز لها كيان النظام السياسى القائم ، إلا أنها عند مواجهة الأخطار تتحد جميعها وتتعاون للدفاع عن الحقوق والحريات . وقد تظن الحكومات الديمقراطية أن هـذه الروح السائدة فى بلادهم نجد ما يشابهها فى بلاد تحكم بالعنف والقوة مثل بلادنا، ولـكن الأمر على النقيض من ذلك ، فروح الكراهية والانتكاس والتطاحن لا تظهر عندنا فى وقت السلم ، فإذا دعا الداعى للحرب أظهرت الأكمة ما وراءها ، وظهرت قوة الشعب

ومن المعلوم أن أركان حرب الجيش الألمانى قد حذر النازى من الارتطام فى حرب عامة إذ أن حرباً كهذه ستؤدى إلى هزيمة لا شك فيها. وقد أرسل إلينا ضابط عظيم يطلب الاستعانة بالصحافة السرية ، على تحذير الشعب الألمانى من الدخول فى هذه الحرب . ويقول هذا الضابط فى كتابه : « إن مركز ألمانيا الجغرافى فى وسط أوربا وقرب مصانعها من الجهة الحربية ، ومدنها الغاصة بالسكان تجعلها عرضة للغارات الجوية . ومن السهل على الطائرات الوصول إلى أقصى ناحية من الريخ فى ساعة من الزمان » . وعلى هذا النحو تسير الصحافة السرية فى إرشاد الشعب الألمانى وتحذيره بطريقة منظمة فى كل أسبوع ، بحيث تنير الطريق أمامه فى ظلام المدلهمات .

هل تستطيع اليابان أن تحكم الصين

[عن « أمريكان ميركيورى »]

يلوح أن الضحايا العديدة التى فقدتها اليابان والأموال الطائلة التى بذلتها فى الحرب الصينية سنتين كاملتين ، قد ذهبت كلها أدراج الرياح . وقد تنقضى تلك الانتصارات المزعومة فى هذه الحرب الطاحنة دون أن تفىء على الأمة اليابانية ما تؤمله من الغنم. وذلك أن اليابانيين لم يرزقوا ذلك النوع من الدهاء السياسى الذى يمكنهم من حكم البلاد بغير العنف والإضرار ، مما لا بد منه لـكل أمة تريد التوسع والاستعمار

وتدل الحالة فى فورموسا وكوريا ومانشوكو على أن الاستعمار اليابانى لم يكن إلا نوعاً من الحرب المتواصلة التى يشقى بها الحاكم والمحكوم ، وليس فيها أى دليل على الاستقرار والهدوء والتمكن من الاستيلاء على ناصية الأمور

ولعل الميول العسكرية التى ساقت الجيش إلى الانتصار بحكم الرغبة فى السيطرة والقوة، هى نفسها التى ذهبت بقيمة هذا الانتصار ، فإن حكم الجيش لتلك البلاد المقهورة هو الذى جعل اليابان عاجزة عن توطيد مركزها بها

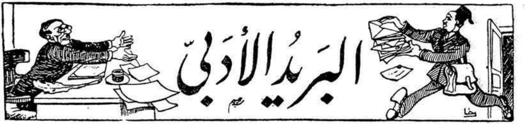
وقد أخذت اليابان تفكر تفكيراً جدياً فى نبذ تلك الفكرة التى كانت ترمى إلى فتح الصين والاستيلاء على جميع أراضيها ، وتود لو أتيح لها أن تعقد اتفاقاً مع الصين على أن تحكم الأقاليم الساحلية وتترك لها داخلية البلاد . ولكن اتفاقاً كهذا ليس من شأنه أن يوطد دعائم السلام بين الأمتين . فهو فى الحقيقة سيكون بمثابة هدنة مؤقتة ، إذ أن المنطقة الحرة فى الصين ستعبئ كل قواها لإشعال نار الحرب من أجل الانتقام . وسوف تظل المؤامرات السياسية والأعمال السرية الخطيرة تقلق بال اليابان

وكل ما ترجوه اليابان الآن أن تستطيع استغلال الأقاليم التى استولت عليها جيوشها من الناحيتين الصناعية والاقتصادية ، فإذا استطاعت اليابان أن تصل إلى أغراضها ، وأمكنها أن تمد جيشها الذى يحتل تلك البلاد بما يرجوه من ثمرة انتصاره عليها ، لم يكن من الصعب عليها أن تنتهز الفرص للاستيلاء على مواطن أخرى ، أما إذا أعياها ذلك الأمر فإن الناحية الاقتصادية ولاشك ستصبح كارثة على اليابان . وقد ظهر أن المقدرة على الاستقرار وتسوية الأمور هى الشىء الذى ينقص اليابان فى جميع المحاولات التى قامت بها لبناء الإمبراطورية

مما لا شك فيه أن اليابان قد كسبت الحرب من الناحية الحربية . فقد استولت جيوشها بصفة نهائية على الشواطئ الصينية وامتلكت كثيراً من المدن الصينية الكبرى

إلا أن السلطة اليابانية ، ونفوذ حكومتها عليها لم يتعد المناطق التى تحميها بنادق الجيش . وما زالت اليابان تلاقى أشد الصعوبات فى البلاد التى تتوغل فيها داخل بلاد الصين . فالصينيون يقطعون عليهم خطوط المواصلات كلما تقدموا خطوة إلى الأمام ويهدمون البلدان ويفسدون الأطعمة وكل ما ادخرته تلك البلاد من الخيرات

ويقول الصينيون إنهم يضحون بالسكان لأجل الزمان ؛ ويحسبون الأيام ويعدون الزمن لإيقاع الهزيمة بهؤلاء المغيرين . فإذا فرضنا أن اليابان لم تهزم وقدرنا أن قوتها الحربية ستستمر على إخضاع تلك البلاد ، فليست اليابان بالأمة المؤهلة للاستعمار بالمعنى المفهوم عند الأمم الأوربية فهو كما يظهر شىء بعيد عن أخلاق اليابانيين



الجاو ، الورق النقدي سنة ٦٩٣

قال ابن الفوطي في كتابه (الحوادث الجامعة) :

« في سنة (٦٩٣) وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز (الجاو) وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم . وأمر الناس أن يتعاملوا به . وكان من عشرة دنانير إلى دون ذلك حتى ينتهي إلى درهم ونصف وربع . فتعامل به أهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر ، فاضطربت أحوالهم اضطراباً أضر بهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء ، وانقطعت المواد من كل نوع ، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت (الجاو) ويعطى الخباز والقصاب وغيرهما ويأخذ حاجته خوفاً من أعوان السلطان . ثم حمل منه عدة أحمال إلى بغداد صحبة الأمير (لكزى بن أرغون آقا) فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا بالأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز . فلما أنهي ذلك إلى السلطان (كيخاو) أمر بإبطاله ، فأبطل قبل وصول كيخاو إلى بغداد ، وكفى الله العالم شره »

***

فالناس — إذن — في القديم والحديث لا تمشي عندهم في شأن السكة La monnaie شيطنة دهاة شياطين[1] ولا حيل حكومات وسلاطين . فهم لا يعرفون إلا هذا الأصفر ، الأحمر الوازن[2]

أكرمْ به أصفر ، راقت صفرته !
وحُببت إلى الأنام غرته !
كأنما من القلوب نقرته[3] !

(١) كل عات من الجن والانس والدواب شيطان ، وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعل فعله (اللسان)
(٢) دينار وازن : تام
(٣) الحريري (النقرة) في الشرح الكبير للشريشي : النقرة إنما تستعمل من الفضة واستعمالها في الذهب لقرب ما بينهما ، وفي (اللسان) : النقرة من الذهب والفضة القطعة المذابة

وهم لا يؤمنون إلا إذا رأوه جهرة[1] ، أو استيقنت أنفسهم أيما استيقان بأنه يسبح لله في الخزائن من بنات الفولاذ في معقل قويّ منيع كالذي شاده العلامة الأستاذ (محمد طلعت حرب باشا)

من همة المحكوم وهو مكبّل بالقيد لا من همة الحكام
الله سخّر للكنانة خازناً أخذ الأمان لها من الأعوام[2]

وأن ليست تلك (الورقة) ذات الخطوط والسمة إلا آية ، علامة لكبير ، لإمام لم ينب ، لا ، ولم يُجهل مكانه ...

(مه)

وفاة المستشرق فنسنك

يحزن الرسالة أن تنقل إلى قرائها خبر وفاة المستشرق ا . ى . فنسنك Wensinck ، توفاه الله منذ أسابيع بعد رحلة ساقته إلى مصر ، فأقام بها نحو شهر اجتمع فيه بكبار علمائنا وكتابنا ، حتى إذا قفل إلى « ليدن » في هولندة تخوّنته حمّى خبيثة ثم واظبت فقلبت عليه حتى كان قضاء الله

المستشرق فنسنك علم من أعلام الاستشراق . وكان أستاذ اللغات السامية في جامعة ليدن ، وتوفر على دراسة أصول الدين الإسلامي فألف كتاباً نفيساً عنوانه « العقيدة الإسلامية » The Muslim Creed وأردفه بمقال نشره سنة ١٩٣٦ في مجلة تخرج في أمستردام ، عنوانه : « الأدلة على وجود الله في أصول

(١) في الكشاف : رآه جهرة أي عياناً وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها
(٢) شوقي ، وقبل هذا البيت :
شركاتك الدنيا العريضة لم تنل إلا بطول رعاية وقيام
وقد قرأ أحد الأدباء في الجزء (٣٢٦) من الرسالة : (قالوا استقال طلعت حرب) فقال : الزيات إذا نثر ، مثل شوقي إذا شعر ، وتلك إرادة الله أن تستبد مصر في هذا العصر بامارة الشعر وإمارة النثر ، ولا نبوغ لأحد ولا تفوق ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

الدين الإسلامى » وتجد وصف هذا المقال فى « مجلة الدراسات الإسلامية » باريس ١٩٣٥ ج ٤ ص ٢٣٦ . وكان فنسنك إلى جانب التعليم والتأليف ، يدير دائرة المعارف الإسلامية الخارجة فى ليدن : يوزع العمل ويراجع المقالات ويخرج الدائرة . وكان يعينه على هذا سعة اطلاعه على مسائل الإسلام وشؤون العرب ثم تضلعه من لغته الهولندية فالفرنسية والإنجليزية والألمانية فضلاً عن اللغات القديمة من ساميّة وغير ساميّة

بقى أن فضل فنسنك كان من وراء جمعه لأحاديث الرسول .

كان فنسنك رحمه الله الجامع المجتهد للحديث الصحيح ، وضع أول ما وضع « مفتاح كنوز السنة » الذى نقله الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى إلى العربية سنة ١٩٣٣ ، ولم يكن ذاك الكتاب سوى مدخل إلى سِفر أغزر مادة وأعم نفعاً . وقد أخذ السفر يخرج للناس منذ سنة ١٩٣٤ ، وهو معجم تفصيلى لمفردات الأحاديث المدونة فى الكتب الستة ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، واسمه فى العربية « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » . وظلّ السفر الجليل يخرج للعلماء وهم به فرحون ، حتى جاء يوم قلّ فيه المال ، فسعى فنسنك فى تدارك الفشل . والذى نعلمه أن مسعاه فى مصر خاب ! والسفر لم يتم خروجه وإن كانت الجزازات كلها مهيأة للطبع (خرج ١١ جزءاً)

إن فنسنك خدم الإسلام والعربية بكتابيه الخدمة التى لا يقدر قدرها ، وحسبه شهادة السيد محمد رشيد رضا فى الكتاب الأول قال : « فلو كان بيدى هو (يعنى الكتاب) أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر علىّ ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ... »

هذا ومما لا معدل عن ذكره أن ثائرة ثارت على المستشرق فنسنك يوم عُيّن عضواً من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى . والقصة مشهورة ، والثائرون أحياء

فى ذمّة الله من وقف حياته على العلم الحق وإمداد الباحثين وتقريب مصادر الإسلام إلى أهله . سيأتى يوم تهدأ فيه الأنفس فتراجع أعمال النافعين

(ب)

فى منزل الدكتور طه حسين

تلقينا من صديقنا الأستاذ الكبير محمد عبد الواحد خلاف هذه الكلمة :

اطلعت على مقال للأستاذ زكى مبارك منشور فى العدد الأخير من الرسالة عن اجتماع مزعوم بمنزل حضرة الدكتور طه حسين بك حضره طائفة من الأدباء والعلماء ووردت فيه عبارات زعم كاتب المقال أنهـا صدرت عنى وعن بعض إخوانى كالأستاذ أحمد أمين والأستاذ العبادى والأستاذ عزام والأستاذ ابراهيم مصطفى ، وهذا الاجتماع من نسيج خيال الكاتب ولا حقيقة له . . .

محمد عبد الواحد خلاف

حول ابن بطوطة وابن تيمية

أورد الأستاذ المحقق الدكتور عبد الوهاب عزام فى الرسالة الغراء (العدد ٣٢٢) فى مقالته « عودة إلى الشيخ الخالدى » قولاً لهذا الشيخ الجليل رأيته لا يتفق والحقيقة التاريخية وهو : « أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية »

قال الشيخ الخالدى ذلك فى معرض دحض رواية ابن بطوطة عن ابن تيمية ، وخلاصتها أن الرحالة المغربى حضر الإمام الحرّانى يعظ الناس فى المسجد بدمشق ويقول متكلماً فى نزول الله تعالى إلى السماء : « نزل كنزولي هذا » ونزل ابن تيمية درجة من المنبر

إننى لا أريد أن أبحث فى مطابقة هذا القول المعزو إلى الشيخ الإمام لمذهبه واجتهاده وفلسفته الدينية كما يمكن استخلاصها من تآليفه ، ففى العلماء والفقهاء من هو أجدر منى بهذا البحث . وفى دمشق عالم فقيه هو أحد البقية الباقية من السلف الصالح الأستاذ الشيخ بهجة البيطار ، له باع طويل واختصاص فى كل ما له صلة بمذهب الإمام ابن تيمية نتمنى لو كتب فى هذه المسألة

ولكنى أودّ أن ألفت النظر إلى أمرين رئيسيين فى هذا الموضوع : الأول أن ابن بطوطة أدرك ابن تيمية ، والثانى : الشك فى صحة رواية ابن بطوطة

أما إدراك ابن بطوطة لابن تيمية فأمر يكاد لا يحتاج إلى دليل ، وحسبنا أن نعلم أن ابن بطوطة ولد سنة (٧٠٣) هـ وتوفى سنة (٧٧٩) هـ وأنه جاء إلى دمشق كما ذكر فى رحلته (طبع المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠ سنة ٧٢٦) هـ وهى السنة التى سجن فيها ابن تيمية سجنه الأخير فى القلعة إلى أن مات ، وكانت وفاته رحمه الله عام (٧٢٨) ثمان وعشرين وسبعمائة كما هو ثابت فى جميع تراجم ابن تيمية نذكر منها « العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية للامام أبى عبد الله محمد بن أحمد

ابن عبد الهادى » (مطبعة حجازى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ص ٣٦٩) وكما هو بارز حتى الآن منقوشاً على قبره خلف بناء الجامعة السورية فى مقبرة الصوفية المندرسة التى لم يبق منها غير ضريحه

أما الشك فى صحة رواية ابن بطوطة فمصدره ما يأتى :

ذكر ابن بطوطة فى رحلته (المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠) أنه وصل إلى دمشق « يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة » ، ثم سرد بعد ذلك (ص ٥٨) روايته التى نحن بصددها ، وأضاف : إن ملك الأمراء سيف الدين تنكيز كتب إلى السلطان الملك الناصر فى أمر ابن تيمية « بأمور منكرة » فورد أمر السلطان من القاهرة « بسجنه بالقلعة فسجن حتى مات » فى حين أن سائر المظان والمصادر ومنها « العقود الدرية » (ص ٣٢٩) و « دائرة المعارف » التى تعتمد بتحقيقها على تراجم وكتب متعددة تعين يوم الاثنين السادس من شعبان عام ستة وعشرين وسبعمائة ، تاريخاً لسجن الإمام تقى الدين للمرة الأخيرة التى مات فيها

ينتج مما تقدم أن ابن بطوطة ، إذ حط رحاله بالشرابشية (المدرسة المالكية) فى دمشق ، كان شيخ الإسلام رهن سجن القلعة يقضى أيامه ولياليه فى التأليف والعبادة

فلا بدّ لنا بعد هذا من الحكم بعدم صحة رواية الرحالة المغربى ما لم يثبت لدينا خطأ ابن عبد الهادى ، وسائر المؤرخين والمؤلفين (كابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات والصدفى فى طبقاته ، وابن الوردى فى تاريخه) الذين استندت إلى أقوالهم دائرة المعارف الإسلامية ، وهذا بعيد عن المعقول

وخلاصة القول : أن ابن بطوطة قد أدرك ابن تيمية ، وإن لم يره ويسمعه .

« دمشق » محمد محيي البرازى

إلى الدكتور زكى مبارك

١ — وجهتم أنظار المولعين بالمباحث الأدبية والتاريخية إلى درس ما بقى فى أذهان العرب من أساطير الأولين لعلهم يعرفون شيئاً من رسوم الوثنية العربية التى حاربها القرآن : طلبتم هذا فى معرض تدليلكم على أن وثنية العرب لم تكن (أرضية وضعية) . فأقول : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اللات والعزى ومناة وسواها أسماء لرجال صالحين كانوا فى زمن إبراهيم أو نوح عليهما السلام؛ وأن العرب قد أقاموا لهم هذه التماثيل بعد مماتهم تدليلاً على ما يكنونه نحوهم من صادق الولاء وخالص الوفاء (أنظر تفسير النسفى — سورة النجم) . وفى رواية ثانية عن ابن عباس (أن اللات كان رجلاً يلت السويق للحاج . قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه . تفسير الخازن — سورة النجم) وتستطيعون إذا أردتم المزيد فى هذا البحث أن ترجعوا إلى كتاب « التوسل والوسيلة » تأليف ابن تيمية طبعة المنار

٢ — أوردتم فى تعليقكم على مادة (ابن الأحنف) من (دائرة المعارف الإسلامية) قصة ذكرتموها كذلك فى كتابكم (مدامع العشاق) مفادها أن العباس بن الأحنف مات هو وإبراهيم الموصلى والكسائى فى يوم واحد وأن الرشيد أوفد المأمون للصلاة عليهم ، فصفوا بين يديه ثم سأل عنهم المأمون واحداً واحداً وأمر بتقديم العباس فصلى عليه ، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى فقال : يا سيدى كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ فأنشده المأمون هذين البيتين :

سماك لى ناس وقالوا إنها ... لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إنى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال المأمون : أتحفظهما ؟ فقال : نعم . قال : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة ؟ فقال : بلى يا سيدى) اهـ والقصة ظاهرة الوضع فإن العباس بن الأحنف قد مات سنة ١٩٢ للهجرة والكسائى توفى سنة ١٨٩ وابراهيم الموصلى قضى سنة ١٨٨ فكيف يمكن أن يقال إنهم ماتوا فى يوم واحد ؟ قد يحتج الدكتور مبارك بأن هناك رواية تدعى أن الكسائى قد مات سنة ١٩٢ وهو العام الذى مات فيه العباس، ولكن ما قوله فى ابراهيم الموصلى وقد أجمع الرواة على أن وفاته كانت سنة ١٨٨ ؟ وقد يحتج أيضاً بأنه قال عند إيراده القصة (ذكروا أن العباس والكسائى وابراهيم الخ) وأنه عقب عليها بقوله : (فإذا صحت هذه الرواية الخ) وأن هذا وذاك يفيدان تشككه فى صحة هذه الرواية، ولكنه — إن قيل ذلك — شك فى إسناد الرواية إلى المأمون ، بيد أن الأسانيد التاريخية تدعونا لنبذ هذه القصة بكليتها على أنهم يروون أن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة مات والكسائى فى يوم واحد وأن الرشيد

صلى عليهما وبكى قائلاً (اليوم دفنت الفقه والنحو)

ما أجدرنا بأن نمحص هذه الروايات التي تزخر بها كتب الأدب تمحيصاً جدياً لنقدم للأدب العربي بعض ما يجب له علينا من خدمات ما كنا لنعترض على هذه القصة لولا أن ناقلها هو الدكتور زكي مبارك. (طرابلس) محمد علي عطاري

لطيفة

بيّنت في العدد ٣٢٥ من الرسالة كيف عاد أدهم إلى الإغارة على ما يكتبه الكتّاب في مصر . وقد وقفت القارئ على فرط إقدام المغير ، إذ دوّنت نصّ النقد الذي عملته لكتاب « فرعون الصغير » لصديقي محمود تيمور ونشرته في مقتطف أول يولية ثم نص النقد الذي عمله أدهم للكتاب نفسه ونشره في ١٤ أغسطس في الرسالة . وهكذا مكّنت القارئ من معارضة النصّين . وقد شرحت فوق هذا كيف استبدل المغير كلمة ألمانية romanische خاءت في نقده بكلمة فرنسية romanesque كانت قد وردت في نقدي ، وذلك رغبة في التضليل ؛ فجاء الاستبدال خطأ من حيث مفاد الكلمتين ، فدلّ ذلك مرة أخرى على أن أدهم لا يعرف كيف يغير بل لا يفقه ما يكتب ؛ أو قل إن معرفته بالألمانية لا تزيد على معرفته بالفرنسية ، وقد بينت من قبل (الرسالة ٣١٤) رقة هذه . ولما طعن أدهم تلك الطعنة لم يرتجل في رده (الرسالة ٣٢٦) ما يجعل ذلك الخطأ صواباً، وأدهم على كل ارتجال قدير

طُعِنَ أدهم فقرّ يستغيث بشهادة صديقه الإسكندرى صديق شيبوب — وهو الناقد الأدبي لصحيفة « البصير » — فقال إنه قرأ نقده عليه قبل أن يبعث به إلى الرسالة في ٢٧ يونية فتلقى الأستاذ شيبوب استغاثة صديقه باشمئزاز . ألا ترى كيف يفتتح شهادته (الرسالة ٣٢٧) : « أقحم اسمي في الجدل القائم بين فلان وفلان » ، والفيروزابادي رحمه الله يخبرنا بأن « قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية وقحمه وأقحمه ... » ، ولكن مثل أدهم يجهل التدبّر والاستئذان . وقد زاد الأستاذ شيبوب أنه « لا يذكر شيئاً » من نقد أدهم في كتاب فرعون الصغير ؛ وعلى هذا فشهادته لا تجدي على أدهم شيئاً ، إذ هي ساقطة كما يقال في لغة القضاء . ثم إن شيبوباً خرج من عهدة الشهادة بأن سأل صاحب الرسالة أن يخبرنا كيف أخر النشر لنقد أدهم شهراً ونصف شهر ، فاعتصم صاحب الرسالة بسر المهنة ؛ وهذا حقه . وقد قال أدهم في رده إن تأخير نشر نقده حتى ١٤ أغسطس على أنه مرسل به في ٢٧ يونية « راجع إلى تقديم بعض كلمات له أرسلها للرسالة (يريد أرسل بها إلي) وكانت لمناسباتها تتطلب نشرها في وقتها » والواقع أن الرسالة لم تنشر شيئاً لأدهم في عدد ١٠ يولية (رقم ٣١٤) ولا في عدد ٢٤ يولية (رقم ٣١٦) وأما عدد ٣ يولية (رقم ٣١٣) فليس فيه لأدهم سوى كلمة في البريد الأدبي ، والرسالة نشرت لأدهم في آن كلمةً في البريد الأدبي ومقالاً في باب النقد (راجع عدد ٣٢٦) . أضف إلى كل هذا أن مكانة الأستاذ تيمور عند صاحب الرسالة لا تسوغ مثل ذلك التأخير

وكيفما كانت الحال فإن الحكم بالسوابق كما يقال في لغة القضاء . ولأدهم غارات غير هذه : أغار على مراد فرج وزكي مبارك وعليّ (اطلب الرسالة ٣١٤ ص ١٣٨٠) وعلى من يعلم الله .

وإن قال قائل : لِمَ تُعنى بالغارات الأدهمية ولا ترحم . قلت : إنه ينبغي لنا أن ننصب الحرب للمغيرين ولا سيما المكابرين منهم ؛ وذلك أننا نريد أن نقيم للإنشاء بالعربية دولة . والإنشاء إذا رضي بالاستلهام فإنما يكره السطو والالتقاط ثم التهويل بهما وفي هذه « اللطيفة » الكفاية . ب . ف

لعله هو ...

في العدد (٣٢٥) من الرسالة الغراء وجّه الأستاذ « علي معمر الطرابلسي » كلمة تتحدث عن جماعة « الشراة » إلى (أستاذ جليل) وكاتب مبرز مبدع ، سباق غايات وصاحب آيات بينات ، ومدبج بحاثات رائعات ، ينم قلمه العتيق الكريم عن رسوخ كعبه في الأدب ، وعلو مقامه بين الكتاب ، وكمال اتصاله بروح العربية ، وفذ اطلاعه وإحاطته بفنونها وآدابها ، ومع ذلك فهو لا يتباهى بعلمه ، ولا يفاخر بأدبه ، ويرغب عن شهرة اسمه ، فتراه يخفي شخصيته وينتحل إمضاءه وما تخفى الشمس ولا يحجب ضوء النهار !

وقد قال الأستاذ الطرابلسي في نهاية كلمته يخاطب الأستاذ الجليل : « فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم ، فلطالما

رغبت فى معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر ، مما يدل على عظيم اطلاعكم وحسن تمحيصكم ؟ »

وقد كنت ظننت بادئ الأمر أن (أستاذنا الجليل) سيسارع (فيضع عمامته) ويعلن اسمه ، كي يعرف أهل العربية قاطبة من هو (ابن جلا وطلاع الثنايا) ! ولكن الأيام مضت تترى والأستاذ الجليل لا يجيب وعهدنا به أنه المجيب لكل سائل ؛ وكأنه فى عالم سماوى حبيب إلى نفسه ، لا يود أن يغادره إلى عالم المتبجحين المتوخين المدعين المعظمة والسبق بالباطل والزور والافتراء والادعاء ! وإنها الشمس تستحى أن تقول للنجوم وما حولها من كواكب : أنا الشمس ...!

وأنا أرجو — إذ أتقدم بمحاولة الإعلان عن هذه الشخصية الفذة — ألا أكون فضولياً على أحد الأستاذين السائل أو المسئول فإن بى رغبة جامحة إلى الإشادة بفضل تلك الذات العالية والشخصية النابغة : شخصية (الأستاذ الجليل) ، وأقرر أننى أصدر قولى هنا اعتماداً على الترجيح لا على اليقين وعلى ما استطعت أن أجده من التشابه والتماثل بين ما كتب (الأستاذ الجليل) مذيلاً باسمه الحقيقى ، وما كتب مذيلاً بما انتحل من إمضاء

وسأكسب — مع الأستاذ الطرابلسى ومع القراء — معرفة الحقيقة سواء كنت موفقاً أم مخطئاً ؛ لأننى إذا وفقت فيها ، وإلا فسيسارع (الأستاذ الجليل) أو بعض صحابته بتصحيح الخطأ — فذلك فريضة إسلامية ، و (الأستاذ الجليل) من أصدق المجاهدين للاسلام ، وعلى ذلك ختماً سنعرف !

إننى أرجح اعتماداً على ما قدمت أن ما ينشر فى الرسالة المحبوبة بإمضاء « *** » أو « م » أو « القارئ » هو لحضرة صاحب العزة « أديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة المحقق محمد إسعاف النشاشيبى بك » صاحب « نقل الأديب » و « الإسلام الصحيح » وغيرهما من الكتب الخالدة والمقالات العبقرية الفريدة وكل خاف سيعلم !

وأذكر الأستاذ الطرابلسى بقول القائل : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود ! » .

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

المصطلحات العسكرية ترجمتها الى اللغة العربية

قررت وزارة الدفاع إجراء مسابقة فى ترجمة المصطلحات العسكرية الخاصة بالأقسام الميكانيكية والسيارات وغيرها إلى اللغة العربية . ويبلغ عدد الكلمات التى يراد ترجمتها حوالى خمسة عشر ألف كلمة .

وسيمنح الفائز فى ترجمة هذه المصطلحات مكافأة مالية

تثقيف الشعب عن طريق الاذاعة

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعاً يرمى إلى تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة اللاسلكية وذلك بتنظيم محاضرات دينية واجتماعية وقصصية تتناول شؤون الأسرة وتعالج أمراض المجتمع وتقوم أخلاق الشعب على أن تذاع إلى جانبها أناشيد وأغان وموسيقى تعاون على تقريب المعانى الإصلاحية التى ترمى إليها الوزارة — من أذهان الشعب وتساعد على رفع مستوى تفكيره

وقد استقر الرأى على افتتاح موسم هذه الإذاعة فى شهر رمضان ويقال أن الوزارة تقوم الآن باختيار المحاضرين والمحاضرات من بين المشتغلين بمسائل الاصلاح الاجتماعى

حول قصيدة

سيدى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة :

بعد التحية قرأت بالعدد (٣٢٧) من الرسالة الغراء الصادر فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ قصيدة رائعة للشاعر المعروف محمود الخفيف عنوانها « وداع » وقد أعجبت بتصويره أيما إعجاب ولكننى عند ما قرأت

إذا هم لا يستجيب اللسان   وما عىّ فى موقف قبله
وماذا عسى أن يقول   وهل تتأبى فتعصى له

عند ما قرأت هذين البيتين لاحظت أن الثانى مكسور فقدرت أن كلمة قد سقطت فى الطبع ولعل الأستاذ الشاعر كان يريد أن يقول :

وماذا عسى أن يقول وهل   تتأبى لقول فتعصى له

أرجو أن يتفضل سيدى الأستاذ فيدلى إلىّ برأيه وأكون له شاكراً

(بنى مزار) يوسف حنين

(الرسالة) صحة البيت هكذا :

وماذا عسى أن يقول لها وهل تتأسى فتنصنى له

وقد سقطت كلمة « لها » فى الطبع

رجاء إلى الكتاب

لاحظت فى أكثر المقالات المنشورة فى الرسالة أن الكاتب عند ما يريد أن يشير إلى كلمة أو جملة تحتاج إلى إيضاح أكثر يشير إليها بالرقم ١ ، ٢ ، ٣ إلى آخره كما هو متبع عادة ويكتب لذلك مفسراً يقول : « اقرأ صفحة كذا من كتاب مختصرات طبقات الحنابلة » أو « راجع أخبارهم من كتابى سيناء القديم وتاريخ بئر السبع وقبائلها إلى غير ذلك ... » وهذا مثل لما جاء بالعدد الأخير فقط . ومثل ذلك فى الأعداد الماضية

وإنى أرى أن يكلف الكاتب نفسه ولو بكتابة كلمة أو اثنتين أو سطر أو سطرين وإن اضطره الحال فليكتب جملة أو جملتين كما نرى فى كثير من المقالات لأن من قراء الرسالة كثيرين من الطلبة والموظفين لا يجمعون من تلك الكتب التى يشير إليها كاتب المقال كتاباً واحداً ... والكاتب بطبيعته يطلع على ذلك الكتاب الذى يشير إليه وهذا ظاهر من تحديده صفحة الكتاب ورقم السطر فما كان يضيره لو كتب ما يريده من القارئ أن يطلع عليه ولو موجزاً ؟ ...

احمد حلمى العباسى

جريدة الشورى

سألنا بعض القراء عن جريدة الشورى التى كان يصدرها صديقنا الأستاذ محمد على الطاهر باسم الشباب ثم باسم العلم ولماذا لا تصدر الآن ؟ ونحن نجيب على ذلك بأن الزميلة توقفت عن الصدور بسبب الأحوال الحاضرة وسيعيد الأستاذ الطاهر إصدار جريدته بعد الحرب إن شاء الله

الكتب

تحت راية الاسلام

لفاضل مسيحي

بقلم الأستاذ عز الدين التنوخي

« تحت راية الإسلام » : كتاب جديد يبحث عن سيرة النبي العربي وحقيقة الإسلام ، ويدرأ عنهما شبهات المبشرين ومفتريات المستشرقين ألفه الأستاذ خليل جمعة الطوال[1] العربي المسيحي الكاثوليكي ، من أدباء شرق الأردن أو مشارف الشام ؛ ولو كان المؤلف عربياً وأرثوذكسياً لخف العجب ، ولكنه يؤلف « تحت راية الإسلام » وهو كاثوليكي وبابوي صميم !

وكثيراً ما كنت أجادل بعض إخواني من دعاة الجامعتين العربية والإسلامية ، وأكثر من الاحتجاج لرأيي القائل بأنه لا فرق بين العربي الأرثوذكسي وأخيه الكاثوليكي إذا ما بُثت فيهما روح العروبة منذ الصبى ، لا فرق بهذا الشرط بينهما في الإخلاص لدين العروبة ، وبالتالي للأمة العربية ودولها العربية

ولولا مدارس التبشير الأجنبية ، وما تبثه في بلادنا الشامية من روح التعصب ، وما تنشره في صفوف الدارس من الدعايات السياسية المسمومة ، لولا ذلك لكانت لعمري روح شباب الشام واحدة ، على الرغم من اختلاف الأديان ، ولما كان للأقليات نواب في مجلسنا النيابي ، ولما وجد المستعمرون مطايا لهم في بلادنا العربية . ولو كانت الروح القومية واحدة لرأينا العربي المسلم يدرس إلى جانب العربي الأرثوذكسي والكاثوليكي على مقعد واحد في مدرسة واحدة .

ومن دعاة الجامعة الإسلامية من يوجس في نفسه شراً من الجامعة العربية ، وكأنه يحسب أن الإفراط في الارتباط بالقومية والبالغة في التمسك بحبل العروبة مما يحل عقدة العقيدة ، ويوهن عصب الجامعة الإسلامية ، ومن دعاة الجامعة العربية من يخال أن الجامعتين متضادتان ، وأنه قلما اجتمعت الوطنية الصحيحة والقومية الصادقة في أحد من دعاة الجامعة الإسلامية ، وكلا الفريقين غالٍ في رأيه ، مخطئ في حكمه : ذلك لأن العربي المسلم قد يشاطر الياباني والهندي المسلم عقيدته وعاطفته وهيامه بالمثل الإسلامي الأعلى ، ويحب لهم من الخير والاستقلال وبلوغ الكمال ما يحب لنفسه ؛ ولكن حبه الخير لأخيه في الإيمان لا ينافي حبه الخير والسعادة لأخيه في الأوطان .

ولا ضرر على الإسلام ولا ضرار في انتشار دين العروبة في البلدان العربية ، فكثيراً ما عرفت بين نصارى العرب أو عرب النصارى من شبان يدينون بدين العروبة ، ويجاهدون في سبيلها حق الجهاد ، ومنهم من هو أكثر خيراً للعروبة وأقل ضرراً للاسلام من بعض ملاحدة المسلمين .

ذلك لأن منهم من كانت عروبته الصادقة تحطم قيود عقيدته التقليدية ، وتحمله على درس القرآن وسيرة النبي العربي ، فيجلو بدرسه الحر وبحثه المستقل ما ران على قلبه من أضاليل المستشرقين ودعايات المبشرين .

ولو سردت أسماء إخواني في العروبة في لبنان وفلسطين والشام والعراق ومصر وأمريكة وعرضت لذكر آرائهم لضاق بي نطاق البحث ، وحسبي أن أذكر من هؤلاء الأدباء النجباء في أرومتهم والصرحاء في عروبتهم الأستاذ خليل جمعة الطوال مؤلف « تحت راية الإسلام[1] »

لقد عرفت قبل اليوم هذا المؤلف معرفة روحية بقراءة ما كان يكتبه في مجلة الرسالة من الأبحاث الدقيقة الممتعة ، وعرفته في الفيحاء اليوم عربياً مشهوداً له في بلاده بصدق النسب العربي ، والاعتزاز بالنبي العربي ، الذي أحيا أمته وجمع بعد تفرق شملها ، وشفاها من أمراض الجاهلية المضلة ، وأخرجها

(١) ولا يجهل قراء الرسالة المؤلف لأنه من الذين يؤثرونها بالكتابة فيها

(١) من أمثال الأستاذ خليل اسكندر قبرصي المقدسي مؤلف « دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الاسلام »

من القبلية الضيقة النطاق ، إلى الشعبية الفسيحة الآفاق ، فجعلها أمة واحدة تحمل بيمناها كتاب القرآن ، وبيسراها كتاب علوم الأكوان ، فهدت بالأول الأمم إلى مَسمى الإنسانية ، واهتدت بالثاني في معترك حياتها الدنيوية ، ففازت بالإسلام بسعادة الدارين معاً

استمع لما توحيه إليك كلمة المؤلف في مطلع كتابه إذ يقول :

« لقد نشأت بتأثير تربيتي المسيحية الكاثوليكية نفوراً من الإسلام كارهاً له ولأهله ، لا أقر له بحسنة ، ولا أبرئه من سيئة ، وغاية ما كنت أعرفه عنه أنه شريعة فاسدة تنطوي على عيوب كثيرة ، أقامتها جماعة من الغزاة المحبين لسفك الدماء والنهب والسلب ، ثم اعتنقتها شعوب بدائية وأمم بربرية لا حظ لها من الثقافة والمدنية . ولست أرى عليّ الآن أيّ لوم في تلك الصورة الملفقة المشوهة التي كنت أحملها عن الإسلام ، لأني لم أكونها لنفسي بنفسي ، ولا بنيتها على ما قد انتهى إليه اجتهادي في دراسة حقيقة الإسلام ، أو اقتنعت به بعد إنعام النظر وإعمال الفكر في كتابه ، ولكني ورثتها منذ حداثتي وراثة تقليدية ... »

ورأى صديقاً له مسلماً يبتاع نسخة من التوراة والإنجيل ليدرسهما قائلاً له : « من الناس من يكره شيئاً ويحب آخر دون أن يكون له في كلا الحالين أمر أو رأي ، ولكنه مقيد في جميع سلوكه بمألوف عادات بيئته وتقاليدها ، ويسرني أنني لست من ذلك الطراز ، ولذلك اشتريت هذه الكتب لأقبل ما فيها أو أرفضه عن فهم واقتناع لا عن جهل وتعصب »

ورأى أن حالة صديقه المسلم تنطبق عليه ، وأن كلمته هـذه الحرة جدير به أن يقول مثلها إن كان منصفاً وعاقلاً حراً . قال المؤلف : « ثم نظرت فإذا بي أكره أخي العربي المسلم وأنفر منه وأتحاشاه لا لعلة إلا لما كان من إسلامه الذي كنت أشعر بكراهته قد خالطت لحمي ودمي ، إلا أنني على كل حال لا أكاد أعرف عنه إلا اسمه ، فعزمت لذلك على دراسته أملاً أن أقف على صحته أو فساده

« وفي ذات يوم عرجت على إحدى المكاتب العربية وابتعت منها نسخة من القرآن العربي المبين ، وأخرى من سيرة ابن هشام فطواهما البائع لي في رزمة ، وتسللت من عنده كاللص ، واضعاً إياها بين ملابسي ، وحريصاً كل الحرص على ألا يطلع عليها أحد من أقاربي وأهلي ، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية كانت سوى ذلك تحرم على المسيحيين مطالعة جميع الكتب الدينية غير الكاثوليكية ولو كانت مسيحية ، فكيف الكتب الإسلامية ؟! »

تلا المؤلف القرآن باستقلال فكر وإنعام نظر ، وقرأ معه سيرة ابن هشام فرأى ما رأى من شبهات غير المحققين من المبشرين وشاهد ما شاهد من مفتريات غير المحقين من المستشرقين ، فكان كما قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : « من عرف الحق عزّ عليه أن يراه مهضوماً » ، ولذلك انتبه من رقدته منتصراً لمحمد فخر أمته ، وللحق يراه مهضوماً ، وللعدل يبصره مظلوماً ، فألف كتابه هذا « تحت راية الإسلام »

على أنه ينتظر لمثله أن يؤذى ويظلم في حرية تفكيره فقد قال المسيحيون[1] عنه : « زنديق مارق عن الدين وكافر يجب حرمانه » وأجاب المسلمون : « بل هو دجّال متملّق يقول هذا لغرض يريده حتى إذا ظفر به انقلب على عقبيه » ، ولقد ظلم كثيراً من المسيحيين والمسلمين بقوله هـذا ، لأن المسيحيّ العاقل الفاضل يعذره ، ولا يكفره ، إذ لا يجتمع عقل سليم وتعصب ذميم ، والفضل يحول بين المرء والعدوان في كل زمان ومكان ؛ وأما المسلم الذي يعرف ما لقيه المؤلف في سبيل عقيدته الحرة من ضروب الأذى ، فإنه لا يقول لمثل خليل جمعة الطوال متملق دجال !

إن دين الله السماويّ واحد ، وكالقطر حين ينزل من السماء واحد ، وتحليله الكيميائي واحد ، وإنما تباعدت النصرانية الحاضرة عن الإسلام بكثرة ما دخلها من الزيادات الكنسية ، كماء السماء ينزل صافياً نقياً ، وكلما ازداد اتصالاً بالأرض وجرياناً عليها قل صفاؤه بمقدار ذلك وبقاؤه ، والمؤلف مع اعتقاده بمحاسن الإسلام وصدق دعوته العامة لا يزال يعتقد بالنصرانية الأولى ولا يرى تنافياً في الدعوتين ، لأن الإسلام كما قال السيد جمال الدين الأفغاني : نصرانية وزيادة ، ولذلك يقول في كتابه (تحت راية الإسلام) ما نصه : « إن اعتقادي الصحة في معتقدي لا يمنعني ألبتة من أن أعتقدها في مذهب غيري » ، ويقول في موطن آخر معترفاً بأن محمداً لم يرسل إلا رحمة للعالمين : فبه اهتدت السفينة الضالة وكملت البشرية الناقصة ، وعزت الإنسانية المهينة ، فمن لم يحبه عن طريق الدين الذي أظهره ، أحبه عن طريق الدنيا التي طهرها ، ومن لم يمجده عن طريق الإسلام الذي رفع مناره مجّده عن طريق العنصر العربي المجيد الذي أعز مكانه ورفع قدره وأعلى كلمته ... » .

فالأستاذ خليل جمعة الطوال الذي شرح الله للإسلام صدره لا يزال في يوم الناس هذا ممن يكتم إيمانه ، وإن صدّق بنبيّه العربي محمد وأحبّ قرآنه ، ودون للناس في كتابه حسن دعوته وإحسانه

« دمشق » عز الدين التنوخي

(1) ما بين الأقواس من كلام المؤلف .